المشكلات التى تواجهها الدعوة داخل العالم الاسلامى وخارجه

الأستاذ الدكتور/ محمد عبد الرؤوف
مدير الجامعة الإسلامية العالمية
ماليزيا

obeikandl.com

المشكلات التي تواجه الدعوة الإسلامية داخل العالم الإسلامي وخارجه .

تمهيـــد

أحمد الله تعالى ثم أشكر السادة المشرفين على هذا المؤتمر لتفضلهم بدعوتي للحضور والمشاركة . ومع علمي بقصر باعي وقلة بضاعتي فإنني آثرت الاستجابة عرفانا بفضلهم وتطلعا للقاء مع نخبة من كبار العلماء والمفكرين .

وتوفية الموضوع حقه ـ كما هو واضح ـ تحتاج لأكثر من كتاب ، وتتطلب الدراسة على الطبيعة والقيام بجولات وزيارات مكثفة للبلاد والجاليات ، كما تحتاج إلى المزيد من التحليل والتفصيل والتوضيح بالأمثلة الواقعية ، لم يكن كل هذا متيسراً نظراً لقصر الوقت وضيق ذات اليد وضغط الواجبات وزحمة المسئوليات ، فلزم الاعتماد على الملاحظات الشخصية وعلى ما وعته الذاكرة من تجارب لذلك فإن الأمل كبير في العفو عما قد يكون في البحث من نقص أو تقصير ، وعما قد يعثر عليه من أخطاء ، مطبعية فاتني إصلاحها .

ويتكون البحث مما يلي :

١ ـ تمهيـــد : يحتـوي على بيان معنى الدعوة كما يبدو لصاحب البحث ، وكلمة عن الأهداف التي ترمي إليها الدعوة ، ووصف موجز لواقع العالم الإسلامي ، ثم كلمة قصيرة عن خاصة هذا الدين القويم من مرونة وقوة ذاتية دافعة .

٢ ـ المشكلات التي تتعرض لها الدعوة داخل الوطن الإسلامي ، وأعني بالمشكلات كل ما تتعرض له الدعوة من صعوبات وتحديات تعرقل مسار الدعوة أو تشوهها أو تبطئها أو تثير بلبلة أو شكوكا .

٣ ـ المشكلات التي تتعرض لها الدعوة خارج الوطن الإسلامي .

٤ ـ كلمة ختاميـــة .

«الدعوة» هي نداء الله تعالى للبشر قاطبة أن يتدبروا آياته في ملكوته ، فيعبدوه وحده ويتبعوا دينه الحق ، فيسود الأمن ويعمّ الرخاء والعدل والرفاهية .

«الدعوة» هي نداء الله تعالى للمشركين أن يرعووا عن غيهم ويكفوا عن عبادة أشباح وأشكال لا تنفع ولا تضر ويصغوا إلى نداء التوحيد والعدل والسلام، إلى دين الله القويم وهديه المستقيم .

«الدعـوة» هي نداء الله تعالى لأهل الكتاب أن يتأملوا في المغالطات والمتعارضات الناشئة عن التحريف في كتب الله السماوية وإفسادها فيصغوا إلى نداء الإسلام واتباع القرآن المجيد .

«الدعـوة» هي نداء الله تعالى للمسلمين ، لجميع من اعترف بعقيدة التوحيد وآمن برسالة المصطفى صلى الله عليه وسلم أن يوحدوا صفوفهم ويجمعوا شملهم ويتبعوا ما أنزل الله على رسوله في صدق وإخلاص ليعزّ شأنهم ويعلو أمرهم وينشر دينهم وتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى .

«الدعوة» هي نداء الله تعالى إلى العصاة أن أنيبوا إلى ربكم وتوبوا إلى بارئكم ليتوب الله عليكم ويغفر لكم ويثيبكم .

«الدعوة» هي نداء الله تعالى للأمة أن تكيّف حياتها كلها وأجهزة دولتها على ضوء تعاليم الله وأن تصوغ نظمها وسلوكها كله على ضوء شريعته .

«الدعوة» هي حمل هذه الرسالة وإبلاغها باسم الله إلى من ينبغي حملها إليهم من عصاة المسلمين ، وإلى الجاحدين المنكرين وإلى الجاهلين الغافلين .

«الدعوة» قيادة المدعوين وسياسة أمورهم وتدبير شئونهم في حكمة وتؤدة ليكيفوا حياتهم ومعايشهم وسلوكهم على حسب هدى الله وشريعته .

«فالدعوة» هي نداء الله تعالى للكافرين كي يؤمنوا، وللمشركين كي يوحّدوا، ولأهل الكتاب كي يسلموا، وللعصاة كي يتوبوا، وللمختلفين كي يتفقوا، وللمتفرقين كي يتحدوا، وللمتخاذلين كي يتعاونوا، وللقاعدين كي يجاهدوا، وللمتطرفين كي يعتدلوا، وللمتهاونين كي يجدّوا .

ولكن نداء الله تعالى لا تسمعه الآذان الصماء، ولا تشاهد آياته الأعينُ العشواء، ولا تعيها القلوب الغافلة، وذلك استجابة لقوله تعالى :

«ولتكن منكم أمّة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر» .

ولا تقتصر مهمة الدعوة على الداعي المحترف المتفرغ فهي مهمة الوالد بين أسرته، والعامل في مصنعه، والمعلم في مدرسته والتاجر في متجره وتجواله، وصاحب الأعمال في شتى نشاطاته والموظف في مكتبه، والحاكم بين رعيته .

القوة الذاتية في الدعوة الإسلامية

للإسلام قوة ذاتية دافعة باهرة تغري بتقبّله واعتناقه عند خلو الموانع المعوقة، ومن عوامل هذه القوة مايلي :

- يُسر العقيدة الإسلامية .
- ملاءمة العقيدة للفطرة الإنسانية .
- سلامة العقيدة من التعارض الذاتي أو مع العقل والمنطق .
- روعة الشعائر الإسلامية التي تلفت النظر ومزاياها الظاهرة والباطنة .
- عدالة الشريعة الإسلامية وكونها تهدف إلى سلامة الفرد والمجتمع واستقرار الأمن والسلام والتقدم العمراني والأدبي .
- نبل الآداب الإسلامية وتوافقها مع الفضائل الخلقية ومجافاتها للرذائل والخصال الدنيئة .
- عناية الإسلام بشئون الدين والدنيا وحاجات الروح والجسد . وصالح الفرد والجماعة معا بطريق منسّق معتدل وبحيث لا يطغى صالح أحد الجانبين على الآخر .

أهــداف الدعــوة

والدعوة تهدف إلى تحقيق «وحدة الأمة الإسلامية» كي يكون الإسلام عزيزاً قوياً مُهاباً، ويعود للإسلام مجده وعزته، فالعزة لله ولرسوله وللمؤمنين، وضعف الإسلام سياسيا واقتصادياوعسكريا يهدّد الإسلام ذاته وينذر بتقلصه وضياعه .

وتهدف الدعوة إلى العمل على المواظبة على أداء الشعائر الدينية روحا ومظهرا، وإلا لكانت خالية جوفاء، فيسهل تردى صاحبها في حبائل الشياطين ومخالب المبشرين وأعوانهم .

كما تهدف الدعوة إلى تكثير أعداد المسلمين، فالكثرة العددية قوة، وسوف يباهي الرسول ﷺ بكثرة الأمة يوم القيامة وهو يقول «لأن يهدى الله بك رجلا خير لك من حمر النعم»

وتهدف الدعوة إلى الأخذ بوسائل العزة والقوة، بحيث يكون المسلمون في المقدمة في جميع نواحي التقدم العلمي والأدبي والمادي والثقافي .

«وتهدف الدعوة» إلى إصلاح الجماعة كما تهدف لإصلاح الفرد وذلك بالقضاء على الفساد والطغيان والظلم والإجرام بأنواعه، ونشر العدل والأمن والسلام كي يعيش الناس في طمأنينة، ويتفرغوا لأعمالهم ونشاطهم، فيسود الدين ويعلو قدر الأمة وتتحقق سعادة الدنيا والآخرة .

فسعادة الدنيا ليست كما يراها البعض في التقدم المادي المحض على هذه الأرض، وتوفر أسباب الراحة والحاجات الجسدية وتحسين وجه المعيشة بوجه عام عن طريق التقدم العلمي والاختراعات والمبتكرات التي تيسّر العيش وتسهّل وسائل الانتقال والاتصال بين الناس، نعم حققت الرأسمالية والتقدم العلمي الباهر كثيراً من هذه الأهداف لكي نتساءل : هل حقق كل هذا التقدم سعادة الإنسان في الدنيا حقا؟ لقد جلب هذا التقدم الكثير من الآلام والأمراض العصبية وانهيار الأوضاع الأسرية، وفساد الماء والهواء،

وعجزت حضارة الغرب عن إنقاذ المئات والآلاف ممن يموتون جوعاً في بلاد آسيا وأفريقيا، ويهدد العالم كله بالخراب والدمار من الأسلحة النووية والأمراض والأوبئة الخبيثة والأوجاع التي لم يعرفها الأسلاف والأجيال السابقة .

إنما السعادة في القناعة بما قُسِم، وشعور المرء بأنه أدى واجبه ورسالته نحو ربه وأهله ودينه ولعب دوره في خدمة الإنسانية مهما كان هذا الدور ضئيلاً أو محدوداً، في هذا سعادة الدنيا وتوقع رضوان الله وثوابه في الآخرة .

ولست أرى السعادة جمع مال ولكن التقي هو السعيد

واقع العالم الإسلامي

هكذا تهدف الدعوة الإسلامية إلى تحقيق أهداف نبيلة ولكن نظرة عابرة على واقع العالم الإسلامي الحديث تؤكد أننا أبعد ما نكون عن تحقيق هذه الأهداف، فهذا الواقع كما يلي :

العالم الإسلامي ممزّق كل ممزق، لقد تفتت إلى وحدات سياسية متضائلة ومتشاكة تغار كل منها على حدودها الوطنية من جاراتها المسلمة أكثر من غيرتها عليها من تدخل العدوّ غير المسلم، بعضها يشغل بعضا في حروب شعواء أكلت وتأكل الحرث والنسل، بل أن المسلمين داخل الوطن الواحد يضرب بعضهم رقاب بعض في حقد وكراهية، يستبيح بعضهم دماء بعض ويخربون الأموال والديار، ويستعين المسلم على أخيه المسلم بالعدو المشترك من الكافرين، وقد مكن ذلك أعداء الله ودينه من الأستيلاء على أراض إسلامية مقدسة في قلب العالم الإسلامي وعلى مقربة من بيت الله ومسجد نبيه المصطفى ﷺ، وكدسوا بالأرض المسلوبة أفتك أنواع الأسلحة بحيث أصبحت تلك الدويلة أخطر ما يُتَصَوَّر على مستقبل الإسلام، بالرغم من كل ذلك لايزال المسلمون مشغولين بخلافاتهم، فأمن بذلك العدو من مكرهم ويزداد كل يوم قوة ومنعة ويبطش بإخواننا المسلمين المساكين الذين وقعوا تحت سلطانه، يقتلهم ويشردهم ويستولي على ديارهم وأموالهم .

وزاد الطين بلة تشتت إتجاهات الحكام ، وولاؤهم في تطرق الايدولوجيات من صنع الإنسان بدلاً من أن يتجهوا متحدين إلى كعبة الإسلام ويولوا وجوههم شطر المسجد الحرام ، ثم إن ما يصعب ذلك من إجراءات القمع والإرهاب تشحن القلوب بالخوف والرعب والفزع ، فتقتل الكفايات وتنعدم المبادرات وتوأد الاستعدادات ، ويسود الضعف والخور ، ويقل الإنتاج ، ويتعرض الناس للفقر والعوز والجهل ، وتتأخر الأمة ، بينما يتقدم أعداؤنا في جميع المجالات .

وبضعف المسلمين وهزيمتهم ضاعت هيبة الإسلام وعزته ، وأصبح مهانا ذليلاً وارتبط الدين الكريم بمعاني الذلة والضعة والفقر والحمق والجهل والعنف والإرهاب ، وهان على أعدائه الأقوياء أن يتهموه بالأباطيل ويغرسوا كراهيته والنفور منه في قلوب الأجيال الصاعدة .

وأدى هذا الضعف وعجز المسلمين عن مقاومة الدعايات المعادية للإسلام إلى نفور الأعداء الكثيرة ممن كان يحتمل استجابتهم لنداء الله من الإصغاء إلى دعوة الحق ، وبذلك انحسر المدّ الإسلامي وبطؤ تقدمه بين غير المسلمين ، وأدهى من ذلك نجاح أعداء الله في ردّة الأعداد الوفيرة والقليلة من المسلمين كما يحدث في بعض بلاد آسيا وأفريقيا ، ثم يختار من بين هؤلاء من يعدّ إعداداً خبيثاً على يد الكنيسة ليكون قسيساً وداعية لدين الكفر بين بني جلدته من أبناء المسلمين .

وبالرغم من الحركة الجديدة المباركة واليقظة الإسلامية الباهرة التي ظهرت آثارها الطيبة في سلوك الكثيرين من المسلمين في جميع الأقطار وخاصة بين الشباب المسلم ذكوراً وإناثاً فلا يزال الفساد ولا تزال الرزيلة سائدين مع الأسف الشديد في البلدان الإسلامية ، ولا تزال عبادة المادة وحب الرئاسة والحرص على المناصب تستولي على النفوس التي تتهم هذه الصحوة بالتطرف وتعرقل الجهود التي تبذل للرجوع إلى حكم الله وشريعته بدلا من التمسك بطواغيت من صنع المخلوقين .

كما لا تزال الكثرة الإسلامية ـ بالرغم مما أسبغ الله على العالم الإسلامي من وسائل الرخاء ـ في المؤخرة في شتى مجالات العلوم ، أقصى جهودهم أن يتمسكوا بأذيال كبرائهم ويقلدوا

سادتهم من الغربيين الذين استأثروا بالابتكار والاختراع والتقدم والإنتاج الوافر الرائع، واستغلوا سائر العالم مما أسموه «العالم الثالث» أو «العالم النامي» أو بعبارة أخرى «العالم الرجعي المتأخر» الذي غمروه بمنتجاتهم وجعلوه يعتمد عليهم حتى في وسائل الدفاع عن نفسه، وأثقلوه بالديون وحملوه على تقليده في مظهره ومخبره وقيمه وعلمانيته، وها نحن بصدد نزاع وخصومة حادّة بين من يكدحون للاستجابة لداعي الله ومن يتجاهلون نداء الحق ويقاومونه ويشجبونه، فإلى أين المصير؟

فلما أحس الاستعمار بقرب أجله وأضطراره لرفع يده والرحيل يوما ما عن تلك البلاد الممزقة المعزولة المستعبدة خطّط قبل رحيله لتخليد ضعف المسلمين وبث الخلاف والاحقاد فيما بينهم ضمانا لصالح المستعمرين مهما كان الثمن باهظا للإسلام والمسلمين من الخراب والدمار وعدم الاستقرار وإزهاق الأرواح وإسالة الدماء على مدى الأجيال، بل بيتوا عمدا لإقامة دولة عدوانية تكون بمثابة عَظْمةٍ في حلق العالم الإسلامي فلا يستقر له قرار ولا يهدأ له حال، كما بثوا في نفوس الناس روحا وطنية كاذبة مغالية لتقف صخرة ثابتة وحائلا منيعا أمام الاتفاق والاتحاد.

ولما أنتهت الحرب العالمية الثانية وتخلص العالم من ويلاتها، ثم جاء عام ١٩٤٧م بدأت الوحدات المستعمرة تتنفس الصعداء وتتخلص من قيود الاستعمار وتعلن سيادتها واستقلالها واحدة بعد الأخرى بعد كفاح مرير وتضحيات جسيمة، ولكن كلا من هذه البلدان وجدت نفسها مثقلة بتركة استعمارية ثقيلة داخليا وخارجيا، وواجهت مشاكل ومصاعب كانت كلها لصالح السادة السابقين على حساب الشعوب المغلوبة على أمرها، وشغل الناس بهتافات ونداءات وطنية فارغة، واستبد بكراسي الحكم فئة تربّت في حجر المستعمرين، وأصبح التفكير في الوحدة الإسلامية أمرا بعيدا ولقد فرح العالم الإسلامي واستبشر لما قامت وحدة بين دولتين عربيتين لكن سرعان ما تعثرت وانقطعت لأنها لم تقم على دعامة الإسلام وكلمة التوحيد، وحاولت الحكومات العربية من قبلُ إقامة هيئة جامعة تتعاون عن طريقها مع احتفاظ كل منها باستقلالها وسيادتها، سموها «الجامعة العربية» ولكنها للأسف لم تفلح حتى في محاولتها مقاومة إنشاء دولة يهودية عدوانية في وسطهم، ثم أدت الهزيمة المنكرة المهينة للعرب والمسلمين عام ١٩٦٧ ثم العدوان على المسجد الأقصى

المبارك إلى قيام «منظمة المؤتمر الإسلامي» في أوائل السبعينات، وبالرغم من الأهداف النبيلة لهذه المنظمة وما انبثق عنها من مؤسسات تربوية وتضامنية وعلمية غير أنها تعاني ماليا واداريا وتنظيميا، وبالتالي لا تستطيع تحقيق أهدافها على الوجه المطلوب نظرا لتقاعس الدول الأعضاء عن تأييدها تأييدا كافيا غير متأثرين بدوافع الأنانية أو الوطنية .

المشكلات التي تواجهها الدعوة الإسلامية في العصر الحاضر

(أ) في الوطن الإسلامي

هيا بنا إذن نحاول كشف الغطاء عن العوامل التي تعوق الدعوة الإسلامية وتقف في طريقها، وبالتأمل وتقليب النظر يمكن ردّ أهم هذه العوامل إلى مايلي :

أولا : التعصب للوطنية

تفتت الدولة الإسلامية سياسيا وبخاصة منذ عهود الاستعمار الغربي الذي استولى على العالم الإسلامي كله من أقصاه إلى أقصاه ما عدا مساحات صحراوية لم يكن لهم فيها أهمية اقتصادية أو استراتيجية عسكرية، بدأ الاستعمار على يد البرتغاليين في منتصف القرن الخامس عشر الميلادي بعد أن تخلصوا من الحكم الإسلامي باستيلاءهم وتثبيت قواعدهم على السواحل الغربية لإفريقيا، ثم بدأوا يتغوّلون داخل إفريقيا في جميع الاتجاهات، ثم نافسهم الإسبانيون فالهولنديون فالبريطانيون ثم الفرنسيون والألمان وغيرهم، فبسطوا نفوذهم في جميع الأنحاء وعبروا رأس الرجاء الصالح وانقضوا على الإسلام والمسلمين في جزر الهند الشرقية والملايو وإندونيسيا وما أسموه الفلبين ثم الهند وغيرها، وبالرغم من المنازعات بين الاستعماريين على السيطرة على هذه البلاد الواسعة غير أنهم اتفقوا على خصومة الإسلام ومعاداته والعمل على إذلاله والقضاء عليه وعلى كتابه إذا استطاعوا، ثم تصالحوا في سلسلة من المعاهدات والاتفاقيات التي أبرموها فيما بينهم على توزيع هذه التركة فيما بينهم إبان القرن التاسع عشر الميلادي، وترك كل منهم يقضي ويحكم ويستغل موارد ما تحت يده ويفرض عليه قوانينه ولغته ونظمه الاقتصادية والتربوية، ويقتل ويشرّد ويسجن الزعامات والقيادات، وفرضوا حواجز كثيفة بين كل بلد وآخر على آماد طالت بحيث ما كان يدري بلد مسلم ما يجري لإخوته بداخل البلد المجاور، ونشأت الأجيال الإسلامية

في كل رقعة مستعبدة تتغذى من ثقافة المستعمر وتنطق بلسانه وتألف عاداته وتعتز بتقليده وتتشبع بأفكاره ومثله، حتى تكونت لكل من هذه الوحدات المعزولة بعضها عن البعض الآخر على طول المدى شخصية وآمال وأهداف وعاطفة وعادات تختلف في كل منها عما هي في الأخرى، وتتعصب كل منها لوطنيتها وتغار على حدودها .

ثانيا : الأخطبوط التبشيري

ولما رأى العدو ما أنتابنا من ضعف سياسي واقتصادي، طمع فينا فغزانا في عقر دارنا وبث المبشّرين في مجتمعاتنا، مركزا على المدارس والمستشفيات ومستخدما أموالهم الطائلة وتقدمهم العلمي والتقنيّ، ومن ورائهم المجالس الكنسية وتعضيد الحكومات وكبار الشركات . فيوزعون الطعام والشراب والملابس للمحتاجين المعوزين من المسلمين، ويزورون المرضى ويعالجونهم ويقدمون المنح الدراسية للشباب في معاهدهم، ويقومون بمشروعات إصلاحية مستخدمين في ذلك شبابهم وأموالهم باسم حب الخير والإصلاح والإنسانية، والواقع أن كل ذلك مؤامرات خبيثة ومصايد لاصطياد المسلمين وتحويلهم للمسيحية، وبالأسف الشديد أثمرت جهودهم انتصارات جمّة للمسيحية على حساب الإسلام فزرعوا الكنائس في قلب القرى والأحياء الإسلامية، وصنعوا مثل ذلك في بلاد من أطراف الجزيرة العربية التي طهّرها من قبل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من الكافرين، وأرتدت الأعداد الكثيرة في بعض البلاد الإسلامية مثل إندونيسيا التي فيها أكبر تجمع آسيوي . ونيجيريا التي فيها أكبر تجمع إسلامي في إفريقيا، ويخططون في خبث ومهارة لتحويل أفريقيا الإسلامية إلى قارة مسيحية قبل نهاية القرن الميلادي الحالي .

وبهذه المناسبة، أستاذن في سرد بعض الأحوال الناتجة عن خبث هؤلاء المبشرين ونشاطهم المدمّر في بلادنا الإسلامية .

في يوم ما من عام ١٩٧٩ حيث كنت أعمل بالمركز الإسلامي بواشنطن، وكنت مشتركاً في مجلس الأديان بهذه المدينة، اتصل بي سكرتير هذا المجلس وكان يعمل بصفة «أسقف» في الكاتدرائية الوطنية بواشنطن ودعاني لزيارة مكتبه بالكاتدرائية لمقابلة وفد هام قادم من الخارج، وعندما وصلت قدّم لي أعضاء الوفد الذي قدم من إفريقيا ومن بينهم «الاسقف

محمد» و «الاخت الراهبة فاطمة» وهكذا فتحسرت في نفسي واعتقدت إنهم يتعمدون الإبقاء على الأسماء الإسلامية المحضة لمن يرتد ثم يلصقون بها هذه الألقاب الوظيفية الكنسية حتى تفقد هذه الأسماء صبغتها الإسلامية ويتيسر للآخرين ممن يسمون بهذه الأسماء التحول إلى المسيحية دون أن يوحي إليهم الاسم الإسلامي بالتردد في ذلك، وقد يكون لهم أغراض خبيثة أخرى .

وكان من المعروف أن الشعب الملايوى في ماليزيا كلهم مسلمون، ويعتبرون دين الإسلام جزءاً لا يتجزأ من كيانهم، ولعل قوة اعتزاز الشعب الملايوى بدين الإسلام ناشيء عن المعاملة الوحشية التي قاساها على يد المستعمرين البرتغاليين، وكان البرتغاليون يحقدون على الإسلام للغاية ويبيدون المسلمين أو يعذبونهم أينما التقوا بهم ولقد أغار الأسطول البرتغالي على «ملقه» المملكة الإسلامية العظيمة في شبه جزيرة الملايو عام ١٥١١م فقاوم الشعب حملات المعتدين بشجاعة وإيمان وأبلوا بلاء حسنا، غير أن تفوق العدو بأسلحتهم وبرائهم أدّى بالأسف إلى هزيمة هذه المقاومة البطولية فدخل المعتدون البلاد لينزلوا بسكانها أقسى ألوان العقوبات، فسالت الدماء في الشوارع سيل الأنهار، وإمعانا في إذلال العاطفة الإسلامية هدموا المساجد وقبور السلاطين وبنوا من حجارتها كنائسهم وقلاعهم .

ورغم ما عاني المسلمون على مدى هذه القرون على يد المستعمرين من البرتغاليين ثم الهولنديين ثم الإنجليز الذين صفا لهم الجو هناك منذ ١٨٢٤ م فقد استطاعوا أن يحتفظوا بدينهم وبكتابه وسنة نبيه وبالمواظبة على أداء شعائره، وأسسوا المدارس الشعبية القرآنية التي حافظت على هذا الدين على مدى الأجيال حتى نالت البلاد استقلالها وغادرها المستعمرون عام ١٩٥٧ م

لذلك كله لم يكن يتصور أن نسمع بملايوى غير مسلم أينما كان، ولكن للاسف أفلح نشاط المبشرين في السنوات الأخيرة بين الجالية الملايوية المغلوب على أمرها في «سنغافورة» فأرتد عدد منهم وبعث المبشرون من بينهم إلى مدارسهم من تخرج كمبشر ليقوم بالتبشير بين ذويه، ثم كونوا هيئة سموها «الجمعية الملايوية المسيحية» في سنغافوره .

ثم بدأ الزحف التبشيري على «ماليزيا» نفسها وكادوا يفلحون لولا يقظة القيادة الحكومية المسلمة في ماليزيا. يساعد المبشرون بعض الاندونيسيين على الهجرة إلى ماليزيا فيقبلون على فرض أنهم مسلمون ولكنهم في الواقع من بين المرتدين. حتى إذا استقر بهم المقام في ماليزيا بعد حصولهم على الإقامة الشرعية كشفوا عن حقيقتهم وشرعوا في الإجراءات لبناء كنيسة لهم، وهم طبعا يشبهون الملايويين لونا وشكلا ويتكلمون نفس اللغة، ولكن ما تم لهم ذلك، حيث سحبت إقامتهم وطردوا من البلاد.

وفي صباح هذا اليوم وهو الثاني من جمادي الأولى ١٤٠٧هـ (٢ يناير ١٩٨٧م) حيث تكتب هذه السطور، نشرت الصحف الماليزية نبأ مقتضاه أن منظمة ما تحاول أن تعقد مؤتمراً عالمياً في ماليزيا، وأنها بعثت تستعين من باب خفيّ بنفوذ المركز الإسلامي الذي يتبع مكتب رئيس الوزراء، وتقدمت بشيك كرشوة قدرها عشرة ملايين من الدولارات، قال السيد نائب الوزير للشئون الدينية داتو يوسف نور الذي أعلن النبأ: «أن الشيك قد رفض وسلّم إلى السلطات المختصة للتحقيق، لأن هذه المحاولة طعن في شرف المسلمين في ماليزيا لأنها تعني أنه يمكن شراؤهم بالمال «كما قال السيد نائب الوزير» أن الشيك مشروط صرفه بالإذن لمنظمة ما أن تعقد مؤتمراً عالمياً في ماليزيا وأضاف بأن هذه المحاولة تشير إلى أن هناك عناصر تهدف إلى تحطيم الجماعة الإسلامية في ماليزيا وتعمل على إضعاف إيمانهم وثقتهم بدينهم، ثم حذر هذه المنظمة وأكد أن مسلمي ماليزيا لن يبيعوا شرفهم ولن يفرطوا في دينهم بالأموال مهما بلغ مقدارها، ومع أنه لم يسمّ هذه المنظمة فالمفهوم أنها الفاتيكان والمجلس الكنائسي العالمي.

ومن بين أساليب المبشرين الخبيثة الفعالة تبنى الأطفال من العائلات الفقيرة كعمل خيريّ إنسانيّ في ظاهره، وذلك للإنفاق عليهم وتربيتهم، فينشئونهم في مدارسهم ويلقنونهم الأناشيد الدينية والطقوس المسيحية، ثم يصنعون من بعضهم قساوسة ودعاة للمسيحية، وقد يساعدون البعض للحصول على أعلى الدرجات الدراسية ويمكنونهم من المناصب الهامة ليستفيدوا من نفوذهم، ولقد التقيت بدبلوماسيين ومبشرين في بعض المحافل والمؤتمرات وهُمْ من أمهات مسلمات ولهم إخوة مسلمون ويقوم هؤلاء بعمل الشيء نفسه فيأخذون أبناء الفقراء ويجمعون لهم الأموال من كل الجهات، ويطلبون ممن يأنسون

فيهم الكرم - حتى من بين المسلمين - تبنى هؤلاء الأطفال غيابيا للانفاق عليهم بتبرع شهري (لله تعالى) وقد لا يرى المتبني الطفل الذي تبناه ولا يدري أنه ينشأ ليبشر بغير دينه .

ثالثاً : التعصب العنصري

والمقصود هنا العنصرية الممقوتة ، أي تعصب الفرد أو الجماعة لأسرتها أو قبيلتها من أجل رفعها أو تسلطها بغير حق أو تأييدها في قضية لا حق لها فيه ، ولقد عاني الإسلام في عصوره الأولى والحاضرة من هذا التعصب الذي حطم قوة الإسلام وفرق كلمته وفتت دولته وأضاع هيبته لقد عاني الإسلام من الخلاف بين الهاشميين والأمويين ، ثم بين العلويين والعباسيين ، ثم بين عرب الشمال المضريين وعرب الجنوب القحطانيين مما أدى إلى خسائر تاريخية فادحة وحروب طاحنة ، ثم انحسر الإسلام تدريجيا عن اندلوسيا وغربت شمس الإسلام عن أرضها بعد أن غمرتها وأضاءتها وغذتها بالعلوم والفنون لثمانية قرون .

وفي زماننا هذا أدى هذا التعصب - مع بعض عوامل أخرى - إلى إنفصال جناحي باكستان ، ثم إلى المذابح التي تلت ذلك بين القبائل في بنجلادش ، ثم ماحدث أخيرا من نزاع دموي رهيب في كراتشي في شهر ربيع الآخر ١٤٠٧هـ . (ديسمبر ١٩٨٦م) . استغل فيه الأحقاد القبلية بين المسلمين .

رابعاً : التعصب المذهبي

إن اختلاف الرأي ظاهرة إنسانية طبيعية ، ولا بأس بها طالما أنه لم يؤد إلى تعصب أو تشدد أو عداء لصاحب الرأي المخالف ، بل قد يكون هذا الاختلاف المشروع بركة ورحمة كما هو الشأن في الاختلاف الفقهي بين الأئمة وأصحابهم ، ولقد أختلف المسلمون في الأجيال الأولى على موضوع الخلافة ، ثم على موضوعات ومفاهيم أخرى ، وقامت فئات وفرق اختلفت على مسائل جانبية ، ولكنهم اتفقوا على إقامة وحدة سياسية ووجوب اتباع شريعة الله تعالى ، وضمّ الجهود للجهاد في سبيل الله تعالى والذود معا عن حظيرة الإسلام .

ولكننا في السنوات الأخيرة بالأسف نشهد رفع شعارات تفرق بين الشيعة والسنة من المسلمين ، وتبذل الجهود لبث بعض المبادىء الشيعية الخلافية كلعن بعض الصحابة وذمّ

بعض آخر وإثارة مسائل خلافية قديمة مما يؤدي إلى التشويش والتشويه والانقسام بين المسلمين لدرجة إسالة الدماء وإرهاق الأرواح البريئة والتأثير على الأمن في البلاد ثم تشويه سمعة الإسلام أمام العالم كله .

وكان الناس قد فرحوا بما حدث في إيران من الثورة على الظلم وإعلان قيام دولة إسلامية ، ولكنها ما فتئت أن أشتبكت في حرب ضروس مع جارتها العربية المسلمة «العراق» فبذلت الجهود الجبارة من أجل الصلح ، وسافرت الوفود وتتابعت الاجتماعات وعقدت المؤتمرات وبذلت الحيل لإيقاف الحرب دون جدوى ، وها هي الحرب في عامها السابع تقتل العباد وتحصد الشباب وتخرّب الديار والبلاد وتشمت الأعداء وتضعف البيضة ولا يعلم مصيرها إلا الله .

وهنا نتساءل : ما الذي وراء تمادي هذه الحرب العراقية الإيرانية وعنادها بعد أن مضى عليها ست سنوات طوال؟ أهو التعصب المذهبي بين السنة والشيعة ؟ أو التعصب العنصري بين العرب والعجم؟ أو المفهوم الوطني ذو النطاق الضيق؟ أو هذه العوامل جميعا ؟ ثم ما هذه المعارك الطاحنة الدائرة في لبنان والعدوان على الفلسطينيين المساكين ومخيماتهم؟ تلعب فيها الأصابع الشيعية والخارجية وتخدم بذلك المصالح الصهيونية وتزيد من ضعف البلاد والعباد .

وقد يشتد التعصب المذهبي الفقهي كذلك جهلاً وحمقا كما كان يحدث من قبل من تفضيل بعض المذاهب على البعض الآخر وإقحام الاختلاف المذهبي في موضوع الكفاءة عند الزواج ، والمهم أن التعصب لمذهب ما حمق وجهل ، وقد يؤدي إلى أحقاد تظل دفينة ثم تظهر آثارها شديدة عند المناسبات وتقف حائلا دون الوفاق والاتفاق ، وأعرف حالات يعزف الحنفي فيها عن الاقتداء بإمام شافعي .

وأستأذن السادة السامعين فأروي لهم قصة طريفة بهذه المناسبة حدثت عندما كنت أعمل بالكلية الإسلامية بالملايو (ماليزيا حاليا) في أواخر الخمسينات ، كنّا فكرنا في عقد دورة خاصة للقضاة الشرعيين في البلاد وكانت معلومات كثيرين منهم ضحلة ، وطريقة المقاضاة بالمحاكم الشرعية لا تتبع النظم الحديثة ، وشجعني السيد رئيس قسم الشئون

الدينية بالولاية التي كانت تقع بها الكلية، ورصد المبالغ اللازمة للإنفاق على إقامة جميع القضاة بالولاية بالكلية أثناء هذه الدراسة، أذكر إنها كانت لمدة أسبوعين، وتقدم إليها عدد من قضاة الولايات الأخرى، ونظمنا برنامجا إضافياً اشتمل على سلسلة دروس مكثفة في أحكام الأحوال الشخصية، ودعونا بعض رجال القضاء المدني وكبار رجال البوليس ليلقوا محاضرات مناسبة، وكان نصيبي أنا من التدريس سلسلة محاضرات عن تاريخ التشريع الإسلامي، وتطوع السيد رئيس إدارة الشئون الدينية بترجمة محاضراتي من الإنجليزية إلى الملايوية التي لم أكن أحسنها بعد .

تمّت هذه الدراسة على مايرام بحمده وتعالى، وأقمنا حفل وداع مناسب وممتع للقضاة المشاركين، وغادر كلٌ منهم مقر الكلية إلى بلده، وكان السيد مدير إدارة الشئون الدينية بعد كل محاضرة يترجمها يثني غاية الثناء ويحضّ القضاة على الاستفادة من العلم، ولإعجابه طلب مني أن ألقي سلسلة من الدروس بمسجد المدينة الحكومي على الأئمة بالمنطقة، فوافقت لعلمي بحاجتهم ليتعرفوا على الكثير من أحكام الطهارة والصلاة وخاصة باب الجماعة، علماً بأن القانون هنا كان يمنع من إلقاء دروس دينية دون ترخيص من السلطات المعنية .

ولكن لم تمض بضعة أيام على إنتهاء هذه الدورة للسادة القضاة الشرعيين حتى قامت عاصفة شديدة ضدّي، ما الذي حدث ؟ ذهب بعض قضاة الولاية وشكوا لسموّ السلطان أنني في أثناء محاضراتي ذكرت أسماء الأئمة من أمثال الإمام أبي حنيفة ومالك وابن حنبل مع أن شعب الملايو ينتمي إلى مذهب الإمام الشافعي فقط فأتصل مكتب سموّه بالسيد رئيس الكلية الذي كان يقيم بعيداً في «سنغافوره» محتجاً على ماحدث وكان مستقبل الكلية أصبح متهدداً . وكان ما قصدنا به الخير تسبب في فتنة شعواء .

اتصل بي السيد رئيس مجلس الكلية وأصر على أنني لابدّ أن أعتذر في الصحف عما صدر مني من ذكر هؤلاء الأئمة، مع أنه كان رجلاً ذكياً ويعلم أن ذكر أسماء هؤلاء الأئمة كان ضرورياً في معرض الحديث عن تاريخ المذاهب وأسباب خلود بعضها ونسيان البعض الآخر، قال لي : من أجل صالح الكلية وضمان سلامتها وبقائها لابد لك من أن تعتذر علنا وأسمع نصيحتي كوالد، فأجبته : كيف أصنع شيئاً كهذا ضد ضميري ؟ ؛ وكيف يكون

موقفي أمام طلابي إذا خالفت ضميري هكذا؟ ولكنه أصرّ وكرّر هذه النصيحة يومياً لبضعة أيام .

وفي هذه الأثناء وصلني بالبريد خطاب من السيد رئيس الشئون الدينية يفيدني بأنني ممنوع من إلقاء دروس دينية بالمسجد نظراً لأنني ـ كما ورد في خطابه ـ أتمسك بأفكار لا تتفق مع معتقدات المسلمين بهذه البلاد ، وهكذا أعلن سيادته تخليه عني حتى لا يغضب السلطات العليا، ولعله كان يتهم بتأييدى .

كان الخيار أمامي إذن هو إما أن ساستجيب وأعتذر علنا في الصحف ، وكان هذا أمرا مستحيلاً لما يتبعه من آثار وخيمة للغاية ، وإمّا أن أستقيل وأشد الرحال إلى بلدي ، ولكن الخيار الثاني كان له خطره أيضا ، لا على الكلية فحسب بل على مشروعات إسلامية تربوية آخرى حسبت أنها تتأثر بسفري وغيبتي في ذلك الوقت .

فألهمني الله تعالى أن استأذن في مقابلة سموّ السلطان ، وكنت آمل أن يكون قد هدأت سورته ، وأذن سموه بمقابلتي وحّدد لي موعدا لزيارة سموّه في قصره الجديد المعدّ للاستجمام على شاطىء البحر وعلى بعد ثلاثين ميلا من الكلية ، ولما تفضل سمّوه رحمه الله باستقبالي، وأخذت مكاني بدأت الحديث معتذراً لسمّوه عما يكون قد حدث من سوء فهم واكّدت له أنني لم أقصد تفضيلاً ولا تمييزا بين الأئمة وإنما كنت أسرد سردا تاريخيا ، وإلا فأنا اتبع مذهب الإمام الشافعي ، وأمي شافعية ، وأبي شافعي ، وكل أسرتي شافعية ، وجميع سكان قريتي شافعيون ، ودرست بالأزهر خمس عشرة سنة لم أتعلم فيها غير المذهب الشافعىّ . ثم شرعت في الثناء على الإمام رضي الله عنه وعلمه وذكائه وفضله . فأنفرجت أسارير سمّو السلطان الكريم وعفا عمّا حدث وشملني بعطفه أمام الحاضرين ، والحمد لله رب العالمين .

طبعاً تغيرت الأحوال الآن بفضل الله تعالى وبفضل خريجي الكلية والخريجين الكثيرين من جامعات الشرق الأوسط ، انتهي هذا التعصب كما قُضِىَ على خرافات وعادات كانت موروثة عن الهندوكة وشجعها الاستعمار الغربي وعمل على خلطها بالدين .

خامساً : مخططات دولية ضد الإسلام .

وإن الناظر المدقق ليشعر بأن للقوى الكبرى مخططات ترمي لضعف الإسلام والتمكن من أهله والسيطرة على موارد بلادهم ، والتمكين للأفكار والنظم المعادية من التسلط عليه ، وأن حقد العالم الغربي على الإسلام - كما هو معلوم - متوارث منذ قهر الإسلام سلطان الدولة الرومانية المسيحية في أثناء القرن الأول من حياته ، وانتزع منها بلاد الشرق الأوسط كلها وجنوب أوربا وشبه جزيرة إيبيريا ، وأوشك المسلمون أن يفتحوا أوربا كلها ، وما كان ذلك عدوانا من المسلمين ولكنه كان جهدا لنشر الدعوة وصيانة لها ودفاعا عنها ، كما كان استجابة لنداء الشعوب المظلومة المضطهدة التي آثرت أن تعيش في ظل عدالة الإسلام والمسلمين ، توارث الغرب هذا العداء جيلاً عن جيل ، وإذكاء الاتهامات الباطلة ضد الدين ونبيه ، ثم اتخذ شكلا مسلحاً رهيباً أثناء الحروب الصليبية التي امتدت على مدى قرنين حتى طرد الصليبيون من البلاد الإسلامية على يد صلاح الدين ، وبالرغم من معاملة صلاح الدين الكريمة لهم والعفو عن ملوكهم وأسراهم فقد أستمر الحقد في القلوب وظهر في كتابة مؤلفيهم على مدى القرون يتهمون فيها زورا المصطفى الأمين ، ويظهرون فيها الإسلام مظهراً وحشياً رجعياً ، كما يصور رسول الله ﷺ في متاحفهم كشخص شهواني محاط بعدد من النساء ، وكان في نافذة إحدى الكنائس الكبرى في نيويورك تمثال للرسول بإحدى يديه سيف وبالأخرى كتاب ، وما رفع من مكانه حتى إحتج رؤساء الوفود الإسلامية لدى هيئة الأمم المتحدة .

أقول : يشعر المتأمل بأن هناك مخططات مرسومة ضد الإسلام لدى الدول الكبرى شيوعية ورأسمالية ، ونرى أثر ذلك في العدوان الغاشم على أفغانستان التي أبلى مجاهدوها بلاء حسنا وعانى الشعب المسلم من ويلات الحرب وآثارها ويعاني ما تقشعر منه الأبدان . هذا عدا الخسائر المادية الفادحة والملايين من اللاجئين المساكين ، كما بدا في ذلك التأييد المكشوف وغير المحدود للملف الإسرائيليين وظلمهم الفادح وعدوانهم المتكرر الأثيم ، كما تبدو من تأييدهم ومناصرتهم وإعانتهم في كل القضايا المعادية لأي بلد إسلامي ولأي زعيم إسلامي ، ثم في حركات خفية دقيقة تتفق مع مخططهم الخبيث . .

سادسا : موقف المترددين والمتطرفين والمقلدين

وحتى ظهرت آثار الصحوة الإسلامية وخاصة بين الشباب المسلم منذ أواخر الستينات كان الشعور الديني يكاد يكون غائباً تماماً بين الأغلبية الساحقة لدى عدد من الشعوب الإسلامية ، فكان الإسلام منعزلاً عن الحياة السياسية والاقتصادية والتشريعية ، ويقاس النجاح بالإنجازات المادية ، فكان المحظوظون في المجتمع يحسبون التردد على المساجد وإقامة الشعائر أمرا قاصراً على المشايخ والفقراء من العمال والفلاحين ، وفشا الظلم واستغلال الضعفاء ، وتوقف أداء الزكوات .

وبفضل كفاح عدد من العلماء النابهين في أواخر القرن الماضي وأوائل القرن الحالي ، ثم بفضل بعض الحركات الإسلامية الواعية التي استطاعت أن تتسلل إلى نفوس الملايين من المسلمين ، رغم أضطهاد الحكومات لها والقضاء على زعامتها حدثت يقظة عاملة غيرت وجه الأرض وأزعجت أعداء الإسلام واضحى الإسلام عاملاً قوياً محركاً لمشاعر الأغلبية الساحقة من المسلمين وارتفعت الأصوات تنادي بالتغيير الجذري وبعمل إصلاحات شاملة في تنظيم الحياة السياسية والاقتصادية والتشريعية على أساس هَدْي الإسلام وشريعته ، ولكن بعض السلطات لازالت تتردد وتسوّف وبعض المنادين بالإصلاح يتشددون ويتعجلون دون أن يكون بيدهم برنامج واضح مفصل ، وبالتالي تتعقد الأمور وتسوّف الإصلاحات .

ثم أن العالم الإسلامي لايزال يعاني من آثار عقدة الرجل الأبيض والتفاني في تقليده واستيراد قيمه مهما كانت لا تتفق مع مبادئنا وتقاليدنا أو اختلفت مع تعاليم ديننا ، إننا لا نتهم الغرب أو ندينه في كل شيء ، كما يصنع البعض ، فالغرب ليس فسادا كله ، وليس صلاحا كله ، فعلينا أن نميّز بين الغث والسمين ، وبين ما يفيد وما يضر ، فنأخذ ما فيه صلاحنا ولا يتنافى مع مبادئنا وتقاليدنا ، وننبذ ما يسيء إلينا ولا يتلاءم مع قيمنا وتراثنا ، فحسبنا ما عانينا تحت نير الاستعمار الذي فرض علينا قوانينه ونظامه الاقتصادي والتربوي ، ووضع أساس ازدواجية التعليم محابيا ما أسماه بالتعليم المدني ومجحفا بحقوق التعليم الديني .

ومن الجدير بالذكر في هذه المناسبة الإشارة إلى أن بداية الوعي بحق الحرية والاستقلال وواجب العمل لمقاومة الظلم والاستعمار نبتت في مدارس التعليم الديني التي عانت الأمرّين من إجحاف المستعمرين وظلمهم، وكان للدارسين في الأزهر الفضل الأكبر من إثارة هذا الشعور، عانوا الكثير من الاضطهاد والسجون وألوان التعذيب، ففي الملايو (ماليزيا) مثلا، عاد طلابها من مصر حيث تغذوا من أفكار الإمام محمد عبده على يد تلاميذه ومريديه من أمثال السيد / رشيد رضا مشبعين بالأفكار الإسلامية الناضجة ومسلحين بالمعرفة الإسلامية الصحيحة التي تؤكد على اللب والأصول لا على القشور والشكليات، وتنادي بعزة المسلم وحريته وكرامته، فنقلوا معارفهم إلى مريديهم، حتى حفّظوهم الأناشيد الوطنية العربية وترجموها كذلك إلى الملايوية، فضجّ المستعمرون وقبضوا على دعاة الإصلاح والاستقلال من أمثال الشيخ طاهر جلال الدين وزملائه، فسجن من سجن وفرّ من استطاع الفرار، وأسماء هؤلاء أصبحت من عالقة التاريخ في هذه البلاد.

ومن العجيب أن يكون بيننا من لا يزال يتشدّق بالعلمانية اللادينية، فيمنع بقوة القانون فتيات بريئات يدفعهن التمسك بالدين لتغطية شعورهن، ويندد بما أسماه الرجعية الدينية، ويعتبر محاولة هؤلاء أن يطعن أمر الله فمن في قوله: ﴿ولا يبدين زينتهن﴾ تطرّفاً دينيًا،

ولقد كان لظهور اللادينية أو العلمانية في أوروبا أسبابها ومبرّراتها، فلقد تسلطت الكنيسة في القرون الغابرة وفرضت سلطانها الغاشم الأحمق لأماد طويلة، وكان لذلك آثار وخيمة بعيدة المدى. فحذا ذلك بالمستشرقين هناك أن ينادوا بالفصل بين الدين والسياسة وسائر شئون الدنيا، وترك ما لقيصر لقيصر وما لله لله، أما إسلامنا فهو دين الحياتين وفي إتباع هديه نجاة الدارين، فهو دين العلم والعرفان والعدل والسلام، فلا حاجة بنا لاستيراد ما ينفعهم وينصرنا ويرفعهم ويخفضنا ويسيء للغاية إلينا.

ويظهر أثر هذه الفجوة كذلك في موقف الذين تربوا في أحضان الغرب من إخواننا في بعض البلاد الإسلامية، ففي ماليزيا مثلا نرى أنه بالرغم من الجهود الحميدة التي تبذلها إدارة الشئون الدينية بمكتب رئيس الوزراء مع كبار الموظفين والمسئولين، والندوات

المتكررة التي تعقد لهم، وتوزيع النشرات والكتيبات عليهم من أجل غرس القيم الإسلامية في نفوسهم ومراعاتها في جميع المجالات لا يزال بعض هؤلاء يتصرفون عن قصد أو عن غير قصد بما ينتج عنه مايضر بالدين ولا يتمشى مع المبادىء والمثل الكريمة، فالمسئولون عن برامج الإذاعة والتلفاز مثلاً قد لا يحسنون الاختيار، وتشاهد في البرامج والأفلام المناظر المخزية والمفزعة مما يتنافى مع السياسة الإسلامية المنشودة .

(ب) الدعوة خارج العالم الإسلامي .

وقبل أن نشرع في الكلام على مشاكل الدعوة خارج الوطن الإسلامي يحسن بنا أن نمهّد بالحديث عن نوعيات من توجه لهم الدعوة بالخارج، ثم عن أهدافها هناك بصفة خاصة .

لمن توجه الدعوة الإسلامية خارج الوطن العربي

١ ـ الشعوب غير الإسلامية :

إذا كان تعداد سكان المعمورة حاليا أربعة آلاف ألف مليون سنة، والمسلمون منهم ألف ألف مليون، فالدعوة يجب حملها بكل الطرق والوسائل الذكية الممكنة إلى الباقين، أي إلى ثلاثة آلاف ألف ألف مليون نسمة، هؤلاء منهم البوذيون الذين ينتشرون في اليابان وبورما وتايلن، ، والهندوكيون الذين يتركزون في الهند، وإلى اليهود وهم متفرقون في بلاد كثيرة ويسيطرون حيث يوجدون على بيوت المال ووسائل الإعلام، ومنهم المسيحيون وهم ملل متعددة كالكاثوليك وزعامتهم الروحية تتركز في البابا ومقره الفاتيكان، والبرتستانتيين وتنظيمهم يرتقي إلى مجالس كنسية وطنية في كل قطر، ومجلس عالمي في جنيف بسويسرا، وتتركز المسيحية في أوربا والأمريكتين وأستراليا ونيوزلندة، وهناك أيضا عبادة الأسلاف وتنتشر بين الصينيين، كما تنتشر بكيفيات أخرى لدى القبائل البدائية الموجودة في إفريقيا وأستراليا والجزر النائية، وهناك اللادينيون الذين يرفضون الأديان إما من أجل الماركسية الشيوعية كما هو الحال في روسيا، وإما للمبالغة في مقدرة العقل البشري واستقلاله بحيث يستغني لمعرفة القواعد الأخلاقية عن دين يوجهه كما يزعمون، وتنتشر هذه الاتجاهات بصفة محدودة لدى بعض الأوربيين والأمريكيين .

وهناك أديان أخرى ، بل في كل دين مما ذكرنا ملل واتجاهات قد تختلف بإختلاف الأقطار أو بغير ذلك .

ثم يوجد في كل ملة وطائفة العاديون والمثقفون والعمال والصناع والكتاب والمفكرون والتجار والزراع ، وقد يختلفون باختلاف العنصر واللون ، وقد يكون لهم إتجاهات فكرية أو إقتصادية كالشيوعية والاشتراكية .

ومن يكلف بالدعوة بين إحدى هذه الفئات يحسن جدا أن يتعرف على دينهم ونظام معابدهم أو كنائسهم أو بِيَعِهم ، وأهمية رجل الدين بينهم ، كما لابدّ له من معرفة لغتهم ونظام معايشهم كي يمكنه أن يخاطبهم بالطريقة التي تنفذ إلى قلوبهم وعقولهم .

وبهذه المناسبة أذكر إنني دُعيت يوما مّا من قبل زميل لي في الدراسة بجامعة لندن يسمي «دافيدبراون» وكان يعدّ نفسه ـ إلى جانب دراسته العلمية ـ ليكون مبشرا ، لزيارة مركز ضخم عظيم خارج لندن قريبا من مدينة «سفن أوكس» بمقاطعة «كنت» ، مهمته تمرين المبشرين ، فدهشت للغاية بما رأيت ، كان هذا المركز يدرس هذه الأديان ، ولغات القوم ، كما كان به أجنحة تمثل البيئات المختلفة لمختلف الشعوب التي سيبعث إليها هؤلاء المبشرون ونظام معاشهم ، وذلك كي يتمرّن الواحد منهم على هذا النوع من الحياة ويألفه قبل سفره إلى هذه الجهات ، فيتكيّف بها عند وصوله إليها بسرعة وسهولة دون أن يعاني صدمات نفسية أو نحو ذلك ، وكان «دافيد» هذا يعد نفسه للسفر إلى جنوب السودان ليبشر بين القبائل هناك ، فلما سألته عما يحفزه لاختيار هذه الحياة القاسية في بلاد نائية بعيدة عن الحضارة التي ينعم بها في إنجلترا قال لي : أشعر في أعماق نفسي أن « سيدي عيسى» LORD JESUS, ينادي لأبشر برسالته ، وقد ترقى «دافيد» في المناصب الكنسية إلى «أسقف» وكان أحد الضيوف المرموقين الذين دعوا لحضور حفل افتتاح «معرض القرآن الكريم» في لندن الذي أفتتحه المرحوم شيخ الأزهر الأسبق الدكتور عبدالحليم محمود في مارس ١٩٧٦م ، وكان هذا آخر لقاء به قبل وفاته ، ولدافيد كتيب مشهور لدى رجال الكنيسة عن التفاهم مع المسلمين ، فيا حبذا لو أمكن أن يكون لنا معشر المسلمين مثل هذه المؤسسات المعدة إعداداً تاماً لتمرين الدعاة وإعدادهم .

كما ينبغي أن يوجه كبار المسئولين عن الدعوة الإسلامية انتباههم للمجالات الواسعة لنشر الدعوة وانتهاز الفرصة كلما حانت لاتخاذ ما يلزم في عناية وحذر، أعني بصفة خاصة بلدا مثل الصين حيث بلغ تعداد السكان الف مليون أو يزيدون، بينما دينهم المتوارث سطحي والشعب مجال خصب للدعوة الإسلامية إذا نحن هيأنا الدعاة ومكناهم للعمل هناك في حرص وحذر مراعاة للقوانين المحلية وبعدا للشبهات التي قد تعوق عملهم، ولنتعظ بما يصنع المسيحيون في نشر دينهم هناك في الوقت الحاضر، فبالرغم من أن المبشرين طردوا من الصين الشعبية منذ ثلاثين عاما، ولايزال القانون الذي يحرم على الأجانب بالتبشر بأي دين قائماً فإن هناك الآن مئات من المسيحين العلمانيين، أي غير قساوسة. من أوربا وأمريكا جلبوا كنتيجة لسياسة الانفتاح ليعلموا اللغة الإنجليزية بالكليات والمدارس بمرتبات زهيدة ولكن تدعمهم المجالس الكنيسية وتعوّضهم الفروق في مرتباتهم وتمدّهم بالمواد اللازمة، وإليك بعض ما ورد في مقال نشر في جريدة العالم الجديد التايلندية بتاريخ ٤ أكتوبر ١٩٨٦م تحت عنوان «الغربيون لا يزالون يحملون الإنجيل (ويبشرون به) في الصين الشعبية» :

«إن هؤلاء المبشرين الجدد - بخلاف أسلافهم من المبشرين (الذين طردوا قبل ثلاثين عاما) يباشرون نشاطهم التبشيري بنعومة فائقة وحرص دقيق ولا يودّون أن يُعْرَفوا كمبشرين» .

وقال المراسل ما يدل على أن السلطات على دراية بنشاط هؤلاء المعلمين المسيحيين التبشيري، ولكنهم يغضّون الطرف عنهم، حتى صرح أحد هؤلاء المدرسين بقوله :

«أن هذه معاملة بالمثل وتبادل للمنافع، ينتفع الصين بنا كمدرسين ويعوضوننا بأعطائنا الفرصة للاتصال بألف مليون من البشر يمكن تحولهم على يدنا إلى المسيحية» .

وقال متحدث دبلوماسي :

«إن السلطات الصينية ترحب بهؤلاء المدرسين لضآلة مرتباتهم» .

وقالت الصحيفة : إن هؤلاء المدرسين هرّبوا أعداداً كثيرة من نسخ الإنجيل إلى الصين ويقومون بتوزيعها سرًا، وأضافت أن بعضهم استطاعوا تأسيس خلايا مسيحية في

الأطراف النائية من البلاد، كما ذكرت أن «الإرسالية التبشيرية للصين» التي اتخذت من سنغافورة مقرا لها بعد طردها من الصين وزعت كتيباً على هؤلاء المدرسين توافيهم فيه بالنصائح مثل أن يتجنبوا الإشارة إلى نشاطهم التبشيري بأي وجه في مراسلاتهم، فلا يسأل أحدهم الآخر مثلاً عن عدد النفوس التي اكتسبها للمسيح .

فياحبذا لو أتخذ السادة المسئولون عن الدعوة ما يلزم للاستفادة من هذا الحقل الصينيّ الخصب ويعملون كل مافيه خير للإسلام .

٢ - المسلمون خارج الوطن الإسلامي .

وأعني بذلك الجاليات الإسلامية التي تعيش في أقطار أكثر سكانها من غير المسلمين، وهؤلاء نوعان أقليات إسلامية وجاليات إسلامية حديثة العهد .

١ - الأقليات الإسلامية :

وأعني بهم تلك الجماعات الإسلامية التي عاشت لقرون وأجيال طويلة بين أغلبية لا تدين بدين الإسلام، وبالتالي تخضع في الغالب لحكام غير مسلمين سواء كانوا أوّل أمرهم أغلبية سكان بلدهم ثم تضاءل عددهم أمام أفواج المهاجرين من غير المسلمين الذين استقروا في البلاد كما هو الحال في مسلمي الملايو في سنغافوره الذين طغت عليهم أمواج القادمين من الصينيين والهنود تحت الاستعمار الإنجليزي فغلبوهم عددا وجاها ومالا أو غلبوا وقهروا بالإغارة والسلاح في غابر الزمان كالحال في مسلمي الفلبين الذين غزاهم الأسبان بقيادة ماجلان عام ١٥١٦ م وقتلوا السلطان سليمان حاكم مانيلا عندما فتحوها ثم بسطوا نفوذهم على سائر البلدان رغم المقاومة الإسلامية التي استغرقت قروناً ولاتزال المقاومة الإسلامية تحاول الآن الاستقلال بالبلاد الجنوبية حيث يتركز المسلمون .

وقد يبلغ عدد هذه الأقليات عشرات الملايين كما هو الحال في الأقليات الإسلامية في الهند والصين وروسيا، وقد يبلغ بضعة ملايين كما هو الحال في مسلمي تايلند والفلبين وبورما، وقد يصل مئات الآلاف كما هو الحال في مسلمي سنغافوره، وقد يكون بضعة

آلاف كالمسلمين في جزر «فيجي» أودون الالف ، كماهو الحال في مسلمي «تابوا» و«تونجا» من جزر المحيط الهادي .

والدعوة بين هذه الأقليات تهدف إلى االدفاع عن حقوقهم الدينية والمدنية ، والعمل على بقاء الوعي الإسلامي بينهم وإنشاء المدارس الإسلامية لصالح ذرياتهم وعمارة المساجدحيث يؤدون شعائرهم ، ثم العمل على تحسين معرفتهم بأحكام دينهم وآدابه ، كما ينبغي للداعية بينهم أن يحاول فيوسع دائرة نشاطه إلى جيرانهم من غير المسلمين .

وأعتقد أن من الواجب على المسئولين في الحكومات الإسلامية العناية بمصالح إخواننا في الأقليات الإسلامية المغلوبة على أمرها مثل الأقليات التي تقع تحت الاستعمار السوفيتي الملحد وإخواننا المسلمين في الهند ، وإذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية تضجّ كلها بجميع أجهزتها وعلى رأسها رئيسها ووزير خارجيتها من أجل رفض طلب تأشيرة خروج من مواطن روسي «يهودي» ، وإذا كان موضوع هجرة اليهود وحقوقهم المدنية في روسيا يشغل جزءاً كبيراً من جدول الأعمال في لقاءات القمة لرئيس القوتين ، مع أن اليهود أقلية ضئيلة إذا ماقورنوا بأعداد المسلمين في روسيا فلِمَ نسكت نحن عما يعانيه إخواننا هناك من كبت وضغط وحرمان من ممارسة شئون دينهم ، وإكراههم على الرضوخ لتربية ناشئهم على الكفر والإلحاد في المدارس هناك ؟

وقبل تحوّل روسيا إلى الشيوعية كان هناك أكثر من أربعة وعشرين ألف مسجد ، والآن لا يزيد عدد المساجد هناك على خمسمائة على أعلى تقدير ، ويحرم بحكم القانون تدريس الدين للأطفال حتى يبلغوا الثماني عشرة سنة بينما ينشأون في المدارس على الإلحاد ورفض الألوهية ، فيضطر إخواننا المسلمون هناك وأكثرهم بحمد الله يعتزون بدينهم - لممارسة نشاطهم الديني من صلاة وصيام ونحوهما خفية ، فإذا شوهد أحدهم متعبدا يعتذر بأنه يقوم ببعض أعمال رياضية ، وإذا لوحظ أنه ممتنع عن الطعام (لأنه في الحقيقة صائم) يزعم أنه يقلل من الطعام حمية ، وفي الأيام الأخيرة جاءت الأنباء تفيد بأن رئيس روسيا خطب في مدينة «طشقند» الإسلامية التاريخية ونعى مهددا ومحذرا من ممارسة الشعائر الدينية متستّرا وراء شعار الأعمال الخلقية ، فلِمَ نسكتُ معشر المسلمين على هذه المعاملة القاسية وحرمان

إخواننا هنالك من حقوقهم المدنية الإساسية تحت ضغط الحكومات الماركسية سواء في روسيا أو ألبانيا أو بلغاريا وأمثالها ؟

كيف نسكت ونحن نسمع بالمجازر البشرية التي يتعرض لها إخواننا المسلمون في الهند من وقت لآخر حتى وصلت عنجهية الهندوس إلى درجة تحويل المساجد كرها إلى معابد هندوكية وثنية؟ ثم كيف نناصر دوليا مهما كانت الدوافع السياسية ـ أعداء إخواننا المسلمين في قبرص كما وإلينا من قبل أعداء الدين وحملنا معهم السلاح لنطرد إخواننا الأتراك المسلمين ففقدنا استقلالنا ووطننا وفلسطيننا؟ يجب أن نتخذ خطاً إسلاميا مستقيما ودائماً في جميع الظروف والأحوال وسوف يكون الله معنا بنصره وتأييده «ولينصرن الله من ينصره»، والرسول ﷺ يقول «المؤمنون تتكافأ دماؤهم، وهم يد على من سواهم، ويسعى بذمتهم أدناهم» .

ب جاليات إسلامية حديثة العهد :

وأكثر هذه الجاليات يتكوّن من مهاجرين من مختلف البلاد الإسلامية إلى بلد غير إسلامي بالإضافة إلى من يعتنق الإسلام من أبناء هذه البلاد، وقد ازداد تعداد هذه الجاليات بشكل ملموس منذ الستينات لأسباب سياسية أو اقتصادية أو تربوية، وأستقر أكثر هؤلاء المهاجرين في تلك البلاد واعتبروها وطناً مكتسباً مع بقاء صلتهم غالباً ببلدهم الأصلي وبذويهم فيها، وتوجد الآن جاليات إسلامية مرموقة في الولايات المتحدة الأمريكية، وفي كندا، وفي مختلف الأقطار في أمريكا الجنوبية وفي أوروبا واستراليا ونيوزلنده وكوريا الجنوبية .

يزداد عدد كل جالية من هذه الجاليات على مدى الأيام بزيادة المهاجرين، وعن طريق التناسل، وبزيادة عدد من يعتنق الإسلام من تلك البلاد والدعوة بين هذه الجاليات تهدف إلى مايلي :ـ

أولاً : الكفاح الجاد لنشر الإسلام بين غير المسلمين من أهل البلاد، خاصة ممن يُستأنس تقبّلهم للدين لأسباب تاريخية أو اجتماعية أو غيرها، كما هو في العنصر الأفريقي من الأمريكيين، إذ يُعتقد أن كثيراً من أسلاف هؤلاء كانوا مسلمين عندما جُلبوا من أفريقيا

في القرون الغابرة، ثم عمل الرجل الأبيض الذي ضرب عليهم الرق مما أمكنه بوسائل غير إنسانية لقطع علاقة ذرية هؤلاء عن حضارتهم الأصلية وتاريخهم كلية فكانوا يساقون ويعذبون بوحشية غاشمة ليطيعوا سادتهم طاعة عمياء، ثم يوضعون في مساكن كزرائب البهائم رجالا ونساء، وترتكب الفواحش دون مبالاة، ثم تؤخذ الأطفال عند مولدهم لينشأوا في شبه ملاجىء تمرنهم على طقوس المسيحية ويلقى في روعهم أنهم إنما نبتوا في الأرض كسائر النباتات، وأن المسيح إنما يرضي عنهم بالطاعة العمياء لسيدهم فنشأت أجيالهم لا تدري شيئا عن أصلهم الحقيقي يعتقدون أنهم إنما نبتوا حقيقة من الأرض ليخدموا سادتهم مطيعين مستذلين قانعين، ثم إن هؤلاء لم يفيقوا وينتبهوا إلى حقيقة أصلهم إلا بجهود بدأت تبذل في أواخر القرن الماضي واستمرت عشرات السنين في القرن الحالي لتقنعهم بأن لهم عمومة وخؤولة في أفريقيا .

ثانيا : الدفاع عن حوزة الدين ضدّ الدعايات المغرضة التي تستخدم أحدث الطرق لتشويه الإسلام كي تصدّ الناس عن الإصغاء لداعي الله، وبلاد المهجر كما نرى تضمر عداء دفينا للإسلام، ولا يرضيهم أن يروا مواطنيهم يعتنقون هذا الدين فيزيدونه قوة ومنعة، وإذا كنا نسعى لكسب الناس إلى الإسلام فيجب أن نعمل على إزالة الموانع والعوائق ومن ذلك مقاومة هذه الدعايات المغرضة التي تستخدم وسائل الإعلام المختلفة وقرائح المستشرقين المغرضين .

ثالثاً : العمل على دوام الصلة بمن يسلم من أهل هذه البلدان، وتقديم المساعدات التي قد يحتاجونها ماديّة كانت أو ثقافية وتزويدهم بالمواد التعليمية الإسلامية باللغة التي يفهمونها .

رابعا : إرشاد المهاجرين وإسداء النصح إليهم في زيارات لهم بمكاتبهم أو في منازلهم كي لا يشغلهم عملهم المتصل والمتزاحم وراء الكسب المادّي عن ممارسة واجباتهم الدينية، وحض هؤلاء بحكمة على حضور صلوات الجمعة والتردد على المسجد إذا وجد كلما أمكن . والتماس المناسبات الدينية وشبه الدينية لدعوتهم وعمل برامج لهذه المناسبات ليلتقي بعضهم بعضا وتبقى الصلة وثيقة بينهم وبين دينهم .

خامساً : العناية بتنشئة أطفال المسلمين تنشئة إسلامية ، وذلك إذا أمكن عن طريق إنشاء مدارس إسلامية تجمع بين المواد الدينية وسائر المواد الدراسية وتؤهل لنيل الشهادات المعترف بها ، وإلا فعلى الأقل تنظم فصول دراسية دينية مسائية أو أثناء العطلات الأسبوعية ، على أن تركز برامجها على العناصر الإسلامية الأساسية في أسلوب سهل وممتع وأن يعني بالتطبيقات العملية لتعمق المعلومات في أذهان الأطفال ، وإذا أهملت الناشئة فأنها للأسف سوف تبتلع بالبيئة وتتأثر بما حولها ويخشى أن نفقدهم للإلحاد أو لأي دين آخر يحيط بهم .

سادسا : إنشاء فصول مسائية لتدريس اللغة العربية والتمرين على تلاوة القرآن الكريم لصالح المسلمين الراشدين بصفة خاصة .

سابعاً : تنظيم سلاسل من المحاضرات العامة في موضوعات إسلامية يدعى إليها المسلمون وغيرهم .

ثامنا : السعي للأخذ بنصيب للمسلمين في وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة ، على أن تكون برامجها منوعة ودسمة وبأسلوب سليم لا بأسلوب ركيك مما يمجه السامع والقارىء .

تاسعاً : تقديم ما يلزم من مساعدات لعمارة المساجد وغير ذلك للمنظمات الإسلامية الموثوق بها .

عاشرا : تجنب التردي في خلافات سياسية والعمل على إبراز الإسلام كعقيدة وأحكام متفق عليها دون التأكيد على الخلافات المذهبية .

احد عشر : تشجيع التجمعات الطلابية وتقديم ما تحتاج إليه من مساعدات والعمل على ربط المراكز والمنظمات الإسلامية في كل منطقة بعضها ببعض في شكل اتحادات أو مجالس تسعى لتنسيق العمل الإسلامي بالمنطقة في إخلاص واستنارة .

المشكلات التي تواجهها الدعوة خارج الوطن الإسلامي

ـ انعكاس المشاكل الداخلية على الدعوة خارج الوطن الإسلامي

إن الصراعات والاختلافات التي يعاني منها الوطن الإسلامي تضعفه وتقلل من إمكانياته لدفع الحركة الإسلامية ودعمها أدبيا وماديا خارج الوطن الإسلامي .

ثم إن خلاف ذوي الشأن في الوطن الإسلامي، جعلهم لا يتفقون على سياسة وخطة موحدة لدعم الحركة الإسلامية بالخارج فكل منهم استأثر بإمكانياته وحده ، وقدم ما أمكن ورضيت نفسه بالتضحية به بمعزل عن عمل الآخرين ، وبالتالي لم يكن هناك تنسيق بين جهود الوحدات التي تعمل بالخارج لصالح الإسلام ، وكان ولاء كل لجهة معيّنة ، وفي هذا الجو يسود التنافس غير المقبول ويسوء التفاهم ويغلب سوء الظن وتتبادل الاتهامات بحق وبغير حق ، فيتسمّم الجوّ وتشل الحركة ويحدث أحيانا محاباة بعض العاملين في الحقل الإسلامي على حساب غيرهم لأسباب سياسية أو غير سياسية مما يتنافى مع مقتضى الإخلاص لله ودينه ويسيء كذلك للدعوة خارج البلاد .

أضف إلى ذلك أن الاختلافات المذهبية والوطنية لها صداها وإنعكاسها على الحركة الإسلامية خارج الوطن الإسلامي ، وتحدث أثرا غير حسن على سير الدعوة هناك ، فقد ترى مركزا إسلاميا أو جمعية يسيطر عليها المذهب الشيعي ويتنافس أو يتنافسان مع غيرهما مما يؤدي إلى بلبلة لا مبرر لها وخاصة بين حديثي العهد بالإسلام ، وقد تدبّ الخلافات بين أعضاء المؤسسة الواحدة على أساس تعصب مذهبي أو اختلاف الولاء الوطني وقد يؤدي التعصب المذهبي أو الوطني لتصدع الوحدة بين الجماعة وانفصامها وتفرقها ، ولأضرب مثلاً على ذلك ما حدث في أواخر السبعينات للمنظمة المسماة «مركز الجالية الإسلامية» في ولاية ماريلاند المتاخمة لواشنطون . وذلك أنه لما إزداد الإقبال على المركز الإسلامي بواشنطن وزادت أعداد المسلمين هناك ، ضاق المسجد بالناس وضاقت الأماكن المخصصة للدروس الدينية التي كنا نعقدها بدار المركز أيام العطلة الأسبوعية لأبناء المسلمين من أجل تعليمهم مبادىء الدين وشعائره ومن أجل إشعارهم بالأنتماء للدين

الإسلامي» أشرت على بعض زعماء الجالية بإنشاء مؤسسة إسلامية أخرى، بولاية «ماريلاند» وذلك لتخفيف الضغط على المركز الإسلامي، من ناحية، وللتيسير على العائلات المسلمة التي تقطن هناك، فلقي هذا النداء استجابة فورية، وجمعنا اشتراكات لهذا الغرض وسجلت المؤسسة الجديدة رسمياً بحكومة «ماريلاند» تحت عنوان: «مركز الجالية الإسلامية في ملريلاند» واستؤجرت مدرسة ثانوية هناك يوم العطلة الأسبوعية لتعقد بها الدروس الدينية الإسلامية، واتصلت الجهود لجمع التبرعات من أجل المشروع، ونجحت المساعي في الحصول على قطعة أرض لبناء المشروع عليها، وساهم الفنيون من أعضاء الجالية من معماريين ومهندسين بجهودهم متطوّعين، وكان يوم وضع حجر الأساس يوماً مشهوداً وسعيداً.

وبينما يشتد الحماس للمشروع إذ بالخلاف يدّب بين الجماعة ويشتد ويحتدم بسرعة وينتهي بأنفصال الأعضاء الشيعيين وتسجيل مركز جديد خاص بهم بعنوان جديد وهو على ما أذكر «مركز التربية الإسلامية» واستأجروا مدرسة أخرى أيام العطلة الأسبوعية للدروس الدينية لأبنائهم، وظل الحال على ذلك حتى أتم الأولون المرحلة الأولى من مشروع، «مركز الجالية الإسلامية» ونقلوا نشاطهم إليه من دروس دينية أسبوعية وأداء الصلوات والشعائر، كما تمكن الآخرون من شراء بناية واسعة لنشاطهم بملايين الدولارات بمساعدة حكومة تتعاطف معهم، وكان سبب هذا الانفصال والخلاف الحادّ أن أحد المدرسين في مدرسة العطلة الأسبوعية بدأ يدّرس مبادىء الشيعة في أحد الفصول فلما علم أولياء أمور التلاميذ من غير الشيعة احتجوا على ذلك ولم تفلح الجهود في الصلح بين الطرفين وتمّ الانفصال من أجل التعصب المذهبي.

وبعد بضع سنين جاءت الأنباء المؤسفة بأن المجموعة الأولى انقسمت على نفسها مرة أخرى لخلاف دبّ بين الأعضاء من أصل باكستاني والآخرين الذين هم من أصل عربيّ وانتهي الخلاف بإنسحاب الأغلبية الساحقة من الأعضاء من عرب ومصريين وغيرهم. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

إقحام الخلافات السياسية في العمل الإسلامي :

إن وضع الدعوة خارج الوطن الإسلامي حساس ولا يزال ضعيفاً ، وهي لذلك بحاجة أشد للعناية وجمع الكلمة ، والإسلام في تلك البلاد قادم جديد نسبيا وهو الكائن الحي في مقتبل العمر لا يتحمل العواصف المرضية الشديدة ، لذلك ينبغي علينا معشر المسئولين عن الدعوة بالخارج أن نتفاهم فيما بيننا بحيث لا تؤدي خلافاتنا السياسية داخل الوطن الإسلامي إلى خلافنا هناك حتى يشتد عضد الكائن الجديد وخاصة أنه يواجه مقاومة شديدة عنيفة من جهات شتى .

ولكن يحدث أحياناً أن تؤثر هذه الخلافات على بعض المسئولين وعلى بعض العناصر من أعضاء الجالية أنفسهم ، وذلك كما حدث منذ توقيع اتفاقيات «كامب ديفيد» من السادة سفراء الدول الإسلامية الأعضاء في مجلس الأمناء المشرف على المركز الإسلامي في واشنطن ، فلما تحرش بالمركز بعض الغوغاء بدسيسة من جهة شيعية لعب بعض أعضاء المجلس بحسن نية في يد هؤلاء العاملين حتى إذا ما حدث فراغ في إدارة المركز إذ بهؤلاء الغوغاء يستولون على إدارة المركز الإسلامي بالقوة وعلى المسجد التابع له ، ثم يقلبون ظهر المجّن للسادة السادة السفراء أنفسهم وأضحى منبر المسجد منصة للطعن العلني وحث السادة السفراء وحكوماتهم وملوكهم ورؤساءهم . وسادت الفوضى وأعمال الإرهاب وتغير الجو فبعد أن كان المركز نقطة إشعاع سلمي للإسلام ودعوته الهادئة والفعالة المؤثرة ، يأوي إليه الناس من كل حدب ينشدون الهدى والرشد والراحة والأمن إذا به يصبح مركزا لأعمال العنف والشغب ، فشوه وجه الدعوة وارتكبت الجرائم واشتعلت بالمسجد الحرائق . ورفع الأمر إلى القضاء وتتابعت الأحداث واتخذت إجراءات غير عادية لرفع يد العدوان على المركز بعد سنين ، وضرب سياج حديدي حول المركز ، وتعرض زائروه للتفتيش - ولا يزال هؤلاء الغوغاء يتحرشون بالمركز بعد طردهم منه ، فيجتمعون أمامه وحوله أيام الجمعة ومعهم اللافتات المعادية يتحدّون إدارة المركز الجديدة بالصراخ والهتافات المدوية ويقلقون المصلين بالمسجد بالأصوات المزعجة مما لا يليق بكرامة الإسلام ويسيء إلى سمعته في تلك البلاد .

القدوة غير الصالحة :

عندما يدخل الإسلام في بلد خارج الوطن الإسلامي يتطلع المسلمون الجدد (المؤلفة قلوبهم) من أهل تلك البلاد الخارجية إلى المسلمين من مواطني البلاد الإسلامية حيث يحسبونهم قدوة حسنة باعتبارهم حملة الرسالة وأصحابها، ولكن كثيراً ما يحدث أن يكون المهاجرون من الوطن الإسلامي الذين جاءوا للسعي وراء الرزق، أو لأداء مهمة دراسية أو دبلوماسية من ذوي السلوك الذي لا يتفق مع هدى الإسلام، فلا يؤدون الصلاة في أوقاتها، وقد يحتسون الخمور علناً، وقد يجاهرون بغير ذلك من الموبقات، وقد يكون بعضهم ممن يسيء فهم دينه ويطعن عليه علناً وأن أنسى لا أنسى يوم جادلني في جامعة كامبردج طالب عربي من بلد معروف باعتزازه بالإسلام أمام طلاب كلهم بريطانيون فزعم أن الإسلام دين رجعي قد عفا عليه الزمن وأنه هو المسئول عن تأخر المسلمين وما يعانون من فقر وجهل وانحطاط كما لا أنسى يوم فوجئت بعد إلقاء محاضرة عامة في إحدى الجامعات الأمريكية بسيدة من أعضاء هيئة التدريس بتلك الجامعة وهي مسلمة من دولة تعتز بإسلامها كذلك، تقف لتتّهم الإسلام بهضم المرأة حقوقها وفرض سيادة الرجل عليها ،

لقد عانى كثير من المسلمين المؤلفة قلوبهم في خارج الوطن الإسلامي صدمات أجزعتهم وأثرت في بعض الأحايين على مدى تمسكم بمبادىء الدين وإقامة شعائره ومراعاة أخلاقه، ولا يخفى الكثير منهم نقدهم المرّ لما يشاهدون في الحفلات التي تقيمها بعض البعثات الإسلامية من مجاهرة مكشوفة تتحدي شرع الله تعالى .

وعلى العكس من ذلك الأثر الكريم للقدوة الحسنة، فقد روى صاحب كتاب «القدوة الحسنة» المستشار محمد عزّت الطهطاوى كيف أسلم استاذ جامعي في اليابان لما تأثر بمشاهدة سلوك كريم لمسه في تاجر باكستاني وعرف أن السلوك الطيب يعكس تعاليم دينه، وكذا سمعنا كيف بدأ الإسلام يشق طريقه إلى قلوب الكوريين عندما شاهدوا الجنود الأتراك يصطفون للصلاة خمس مرات كل يوم وراء إمام لهم متجهين نحو قبلة معينة، كما سمعت بالذكرى العاطرة للمرحوم المصرى كامل عبدالرحيم بين المسلمين في أمريكا

عندما قدمت إليها وكيف أعجبوا بكفاحه من أجل تحقيق مشروع المركز الإسلامي بواشنطن بعد أن خمد لبضع سنوات قبل مَقْدَمِه وذكروا كيف كان يعقد صلاة الجماعة في بيته خاصة أيام رمضان والأعياد حتى أمكن إقامتها بمقر المركز، ثم إسهامه في تثبيت قواعد المركز في نيويورك بالرغم مما كان يعانيه هو من جهد بسبب مرضه آخر حياته .

المشاكل الزوجية

وكثير من الشباب الإسلامي الذين يقدمون إلى الغرب يفتنون بالشابات هناك وهنّ من أهل الكتاب وقد يكنّ ملحدات، وينتهي الأمر بالزواج منهن، وقد يكون الدافع للزواج تيسير الحصول على الإقامة الشرعية التي تخول صاحبها حق العمل والارتزاق في تلك البلاد، والزواج من الكتابيات ـ وإن ساغ شرعا ـ فإنه يعرض لمخاطر جسيمة وإن جذوة العاطفة المؤقتة التي قد تعمي العين مؤقتاً عن مغبة هذا الزواج لها ما بعدها من ندم وآلام ومآس تتعرض لها الذرية الناتجة من هذا الزواج ونسوق هنا العبارة الآتية المؤثرة لأحد كبار القضاة بهذا الشأن :

«ومهما يكن من أمر الخلاف في صحة زواج المسلم بالكتابية فإنه لا خلاف بين أئمتنا في أن هذا الزواج مستثقل مذموم، وقد صرح الإمام مالك رضي الله عنه وغيره بأنه إثم محرم وإن كان زواجاً صحيحاً، ولئن قدرنا أن من الأجنبيات الكتابيات من يدفعها أول الأمر خالص الود، فهذا لن يكون سوى أمر عارض لا يلبث أن يزول وترى، الطبع قد غلب التطبع ولن ينال المسلم من هذا الزواج إلا لوثة في دينه، فمن حق الكتابية أن تأكل وتشرب في بيته ما هو حل لها ومحرم عليه، ومن حقها أن تؤدي فيه شعائر دينها، وبهذا تصبح حياته المنزلية خليطا من إيمان وكفر، ثم من يدري ماذا تكون العاقبة؟ وما الذي تجر إليه المجاملة أو يدفع إليه سلطان المرأة .

«ثم تأتي كارثة الأولاد وتربيتهم، فهم في يدها عجينة لينة طيعة تغرس في نفوسهم منذ الطفولة الأولى ما تحب وتهوى، ويألفون من عاداتها وسيرتها ما يطغي على تعاليم دينهم ويطفىء نور الإيمان في قلوبهم .

هذا كله إذا استمسك الأولاد من هذا الزواج المختلط بدين والدهم، ولكن قد يحدث غير ذلك، فلقد صدمت عندما دعيت لأول مرة لأؤمّ صلاة الجنازة في نيويورك على مسلم من أصل باكستاني، وبعد أداء الصلاة وإلقاء كلمة مناسبة على المعزين وأسرة المتوفي قدم إثنان من أبناء المتوفي لتحيتي وشكري، فإذا بأسم كل منهما غير إسلامي. وبالاستفسار قالا إنهما يتبعان المذهب البابتسمّ (المعمودي) المسيحي ثم تكررت هذه المأساة بالأسف، كما أنه كان يتردّد على المركز الإسلاميّ في نيويورك بانتظام أيام العطلات الأسبوعية طبيب فاضل من أصل فلسطيني كان يرافق ولده الذي كان يواظب على حضور الدروس الدينية بالمركز، وقد توطدت العلاقة بيننا وتبادلنا الزيارات، فلما قدم إلى زوجته الأمريكية وكريمتهما وأظهرت تعجبي من أن ابنته لا تحضر الدروس الدينية بالمركز شرح لي في خجل أنه عند الزواج اتفق مع زوجته على أن يتبع الذكور من أولادهما دين أبيهم والبنات دين أمهن. فبينت له في إشفاق وحرص كما صنعت مع غيره أن الطفل من أب مسلم أو أم مسلمة مسلمٌ على حسب حكم الشريعة الإسلامية والرضوخ للظروف والرضا بتنشئة الطفل على دين غير الإسلام رضا بالكفر، والرضا بالكفر كفر.

ونظرا لطبيعة تلك البلاد وعاداتها التي تسمح بالاختلاط الجنسي فكثيرا ما تتعرض العائلات المسلمة لخصومات ومنازعات وقلاقل طويلة المدى مما يترك آثارا غير حميدة على عقول الأطفال وسلوكهم، كما يشغل وقت الداعية حيث يلجأ إليه للفصل في الخصومات فيحاول قدر جهده رأب الصدع والوصول إلى التصالح بدلاً من اللجوء إلى القضاء، تغار الزوجة القادمة من بلد إسلامي لعلمها بأن زوجها الطبيب يختلط بحكم عمله بالممرضات، كما أن الموظف أو صاحب الأعمال يتعامل مع زميلاته وسكرتيراته في مكتبه أو متجره أو مصنعه أو أسفاره، فتلتهب عواطف الزوجة فتتهم بعلها بحق أو بغير حق وتشتعل الخصومات وتشتد ويتهدد كيان الأسرة، وأحياناً ينحرف أحد الزوجين وكأن ذلك ردّ فعل لما يعانيه أحدهما في بيت الزوجية، وقد يتخذ هذا الانحراف اتجاها متطرفا والعياذ بالله كما حدث في حال رجل كبير معروف وقور، صرخت زوجته على التلفون باكية بحرارة وعنف تشكو ممّا شاهدته، والإسلام في تلك البلاد غريب وفي مرحلة انتقالية محفوفة بالمتعارضات، المتمسك فيها بدينه كالقابض على الجمر حقاً.

تعارض الولاء للدين والبعولة

وقد يحدث في تلك البلاد أن يشرح الله تعالى للإسلام صدر سيدة بينما يبقى زوجها على دينه ، فهي بمجرد إشهار إسلامها فَصَمَتْ عروة زواجها منه ، ولكن في أكثر هذه الأحوال تجد الزوجة صعوبة في هذا الفراق ، فقد تحبه ويعزّ عليها فراقه ، وقد يكون لهما منه أولاد تحرص هي على أن يستمتعا بحنان الوالدين معا وقد يكون لهما مصالح أخرى مشتركة ، ثم أن الداعية لو أصر على فراقها لزوجها فوراً بشكل علني فأنه قد يسيء بذلك إلى سمعة الدين ويتهمه أعداؤه بأنه دين يفرّق بين المرء وزوجه فكنا ننصح مثل هذه السيدة - إذا عسر عليها فراق زوجها أن تتجنبه في الفراش تجنّبا تاما ولا تخلو به وتواظب على موعظته ونصحه بأن يتبعها ويعتنق دينها دين الإسلام الحنيف .

عدم توافر الموارد اللازمة :

ونقصد بذلك العجز المادي مما يتسبب في العجز عن تحقيق مشروعات هامة أو يسوّفها أو يبطئها أو يجعلها تستغرق زمنا طويلا ، وبالتالي تضيع فرص ثمينة لخدمة الدعوة ، فكرنا مثلاً في تأسيس مكتب يشرف عليه علماء قديرون متفرغون لمتابعة الحملات الإعلامية ضد الإسلام بطريقة فعالة في أمريكا بحيث يزود المكتب بما يلزم من آلات وأدوات وبميزانية كافية للحصول على كلّ ما يحدث صوتيا أو مرئيا أو مكتوبا ثم يلخص كل ذلك ويردّ عليه رداً ذكياً واضحاً موجزاً بحيث ينشر كل ذلك في دورية ترسل إلى ذوي النفوذ في الدولة ومحرري الصحف والجامعات والمكتبات العامة وكبار الكتاب والزعماء والسياسيين .

ذلك المشروع يتكلف مبالغ طائلة ، فهناك عشرات القنوات التلفازية على المستويات الوطنية والمحلية ، ومئات محطات الإذاعة وآلاف الصحف والدوريات والمجلات الشعبية والمتخصصة ، ومنها ما يصدر عن مؤسسات دينية أو اجتماعية ، وهناك الأعداد الكبيرة من الكتب والموسوعات التي تصدر يومياً وأسبوعياً وشهرياً وحوليا وكلها تتعرض للإسلام بوجه أو بآخر ، وكثيرا ما تكون المعلومات مشوهة خاطئة عن عمد وعن غير عمد ، تصور أن يعرف الإسلام هناك استجابة لاستفسار بأنه يعني «الغدر» ، ويصدر كتاب في غلاف أخضر جميل

بعنوان «سيف الله» هو عبارة عن قصة خيالية عن حياة الرسول الكريم المنزّه عن الدنايا تصوره ظلماً وبغيا كرجل عربيد يخون زوجته مع الغانيات، استغفر الله، وذلك عدا ما يكتبه المبشرون وما يصدر عن المستشرقين، فالمتابعة وحدها تكاليفها باهظة .

ثم إننا إذا أخذنا في الحسبان عدد العناوين التي توزع عليها النشرة، وتواضعنا لعدد خمسين ألفاً، وكانت النشرة محدودة وضئيلة بحيث لا تتكلف بالبريد أكثر من الحدّ الأدنى وهو ٤٤ سنتا، فيكون تكليف التوزيع البريدي وحده في كل مرة أكثر من اثنين وعشرين الفا من الدولارات، هذا عدا تكاليف الطباعة والإدارة والمرتبات وغير ذلك فأدى العجز إلى صرف النظر عن المشروع وترك المجال لأعداء الإسلام ولمحاولات ضعيفة قليلة الجدوى .

كما أن ضيق ذات اليد يبطيء تنفيذ المشروعات مثال ذلك مشروع بناء المركز الإسلامي في واشنطن، فمع أن الفكرة بدأت عام ١٩٤٤م، واشتريت قطعة الأرض اللازمة في أفضل مكان بالمدينة في العام التالي بفضل المساعدة التي بادرت بها حكومة مصر عن طريق سفيرها في ذلك الوقت (محمود حسن باشا) الذي بدأ في التفكير في بناء هذا المركز ونجح في جمع بعض التبرعات كذلك من الجاليات العربية بأمريكا (مسيحية ومسلمة) في نفس العام، فإن المشروع تعثر وسكن وكاد يرخى عليه ستار النسيان حتى نهض به خلفه (المرحوم كامل عبدالرحيم) منذ عام ١٩٤٨ وكافح كفاحا مريرا، وقابل ملوك المسلمين ورؤساءهم وكاتبهم وسائله ممثلو الدول الإسلامية في واشنطن الموجودون هناك في ذلك الوقت، ومع كل ذلك الكفاح لم يتم المشروع إلا عام ١٩٥٧ . أي استغرق ثلاثة عشر عاما، أما مشروع المركز الإسلامي في مدينة نيويورك التي كان بها أكبر تجمع إسلامي فقد تم شراء الأرض اللازمة له عام ١٩٦٩م، وحتى كتابة هذه السطور، أي بعد أكثر من خمسة عشر عاما لا ندري إذا كان قد بدأ العمل في بنائه بعد، ومثل هذا يقال في مشروعات هامة أخرى .

والجاليات الإسلامية المتفرقة في البلاد الواسعة محدودة الجهد وأكثر أعضائها حديثو العهد بالبلاد ويكدحون ليعيشوا أو يعولوا أنفسهم وعائلاتهم، وينذر من أسبغ الله عليه النعمة بالكثرة والمزيد، لذلك يتجهون دائماً للدول الإسلامية وحكوماتها وأهل الخير فيها،

وفي الواقع ما قصّرت هذه الحكومات، وجاد المحسنون بسخاء وتمّ بالفعل عدد لا بأس به من المشروعات، وهناك الآن الكثير من المساجد والمراكز والمؤسسات الإسلامية وأن تفاوتت قوة وضعفا، كما أن هذه الحكومات أسهمت في الحركة الإسلامية بما هو أهم من المال أعني بخدمات العلماء الذين أوفدتهم على حسابها الخاص ليقودوا الدعوة في تلك البلاد ويرعوها ولينشروا بين المسلمين في تلك البلاد النائية العلم والنور والهدى والإيمان، ولكن لاتزال الحاجة ماسة لمزيد من الدعم لمشروعات حيوية تخدم الإسلام ودعوته وتدفعه إلى الأمام .

ظهور فرق دينية حديثة

ويقصد بذلك الانقسامات المذهبية الحديثة التي أدت إلى مزيد الفرقة واختلاف الكلمة بين المسلمين سواء نشأت هذه الحركات في ظل الاستعمار بالوطن الإسلامي وتشجيعه ثم أمتدت إلى خارج الوطن الإسلامي، أونشأت خارجه، فمن النوع الأول البهائية التي قامت في إيران والقاديانية أو الأحمدية التي نشأت في الهند وباكستان ثم أمتدت هاتان الفئتان خارج الوطن الإسلامي وتشعبت فروعها بين الجاليات الإسلامية هناك، وشيدت البهائية معابدها وبني القاديانيون مساجدهم، ومن شأن ذلك أن يؤدي إلى التشويش على الدعوة وبلبلة أفكار من تحدّثه نفسه من غير المسلمين من أبناء هذه البلدان بأعتناق الإسلام إذا صادفه داعية من إحدى تلك الفرق الملحدة وداعية من أهل السنة والجماعة .

ولعل أشهر فرقة منحرفة نشأت خارج العالم الإسلامي ترتدي برداء الإسلام وتسمى نفسها جماعة إسلامية تلك، التي نشأت في الثلاثينات من الأمريكيين من أصل إفريقي تحت زعامة «اليجه بول» الذي سمى نفسه «اليجة محمد» وزعم أنه رسول الله وأفضل الأنبياء وخاتمهم، كما زعم أن ماورد في القرآن من أسم محمد إشارة إليه هو، وأنه كان استجابة لدعوة إبراهيم وإسماعيل في قوله تعالى ﴿ربنا وأبعث فيهم رسولاً منهم﴾ الآية، وليست الإشارة إلى محمد بن عبدالله المكي الذي توفي منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا قال : إن الله تعالى قد أرسله إلى الأفارقة الأمريكيين المضطهدين المظلومين المتروكين فريسة للجهل والحمق والفقر والعوز والمهانة والاحتقار والذل والاستعباد والعربدة والفواحش وعدم عرفان

الأصول وبلا أمل ولا مصير، وذلك لينشلهم من الهاوية التي تردّوا فيها بسبب ظلم الرجل الأبيض ومن الأوحال والأقذار والكفر إلى العزّة والكرامة والمجد والسؤدد في هذه الأرض وإلى الإيمان بالله .

كان هناك في مدينة «دنبرديت» بولاية «متشجان» الأمريكية رجل يسمى «فرد محمد» كان بائعا متجولاً يطوف بالذات على التجمعات من هؤلاء السود الأفارقة الأصل لبيع بضاعته منهم، وكان يتودد إليهم ويذكرهم بأبناء عمومتهم في أفريقيا ويزعم أن بضاعته من لدنهم، وكان يجالسهم ويسامرهم حتى أكتسب ثقتهم وأصبح كأب روحي لكثير منهم، ثم أختفى فجأة عام ١٩٣٣ ولم يعثر له على أثر فزعم «اليجه بول» وكان أحد اتباعه أنه هو الله (استغفر الله) وأنه هبط إلى الأرض ليسلمه الرسالة الإلهية الأخيرة وأن أهم أهداف رسالته هو جمع كلمة السود الأمريكيين وإعادة مجدهم الذي فقدوه .

زعم أن اللون الأسود أجمل الألوان وأفضلها، وأن البشر كلهم كانوا بهذا اللون حتى جاء رجل شرير يسمى «يعقوب» من آلاف السنين مضت فأجرى تجارب ونتج عن ذلك الرجل الأبيض القوقازي فاسترق الرجل الأسود الرجل الأبيض واستعبده، وبمرور السنين استكان الرجل الأسود إلى نعيم الحياة وفجر وفسق فقوى الرجل الأبيض وسلطه الله على الرجل الأسود لينتقم منه ويستعبده ويظلمه لفترة معينة وقد آن الأوان لنهاية هذه الفترة وعودة الرجل الأسود لمجده السالف وسيادته الأصيلة، وأضاف أن الرجل الأسود أجمل من الأبيض وأطول وأقوى بدناً وأذكى عقلاً، وأهم ما يحتاج إليه الرجل الأسود هو إعادة الثقة إلى نفسه .

سمى اليجه محمد جماعته «أمة الإسلام» وكل واحد من أتباعه «مسلما» وطالب بقطعة أرض واسعة من حكومة الولايات المتحدة لينشىء عليها دولة مستقلة لأمته، وجاء ببرنامج عملي للحياة أقرب ما يكون إلى تعاليم الإسلام من الناحية الأخلاقية لا من ناحية العقيدة أو العبادات فأستخدم ترجمة القرآن لمحمد على لأنها تستعمل لفظ الجلالة العربي «الله» لا اللفظ الانجليزي المقابل لكلمة «الاله» وكان هو ومؤثر الأولى ويستعملها، دائماً وحرم على أتباعه تحريما باتا الزنا وشرب الخمر والسجاير والمكيفات ولحم الخنزير، وحضهم على

النظافة وفرض على الرجال حلق الرأس واللحى ولبس السترة السوداء وتحتها قميص أبيض وألزم نساءهم صغاراً وكباراً بارتداء زي كامل أبيض يغطي البدن كله ما عدا الوجه واليدين، وخصص للسيدات مقاعد خاصة منفصلة عن مقاعد الرجال في اجتماعاتهم العامة، وذلك قبل أن تنتشر هذه العادات بين المسلمات إثر الصحوة الإسلامية . كما أسس لهم المدارس وسماها «جامعة الإسلام» وبدأ يعلمهم اللغة العربية، ولكن كانت اجتماعاتهم للعبادة عبارة عن خطب تذكرهم بظلم الرجل الأبيض وأنواع التعذيب التي عاناها أسلافهم وكانوا يصومون شهر ديسمبر فيأكلون وجبة واحدة ويستعينون على الجوع بشرب القهوة، ولكنه مع ذلك أدى فريضة الحج .

كثر اتباع «اليجه محمد» واشتد ساعدهم وبلغوا مئات الآلاف كما بلغت فروع جماعته أكثر من ثمانين فرعاً وتعددت وتنوعت مشاريعهم الاستثمارية التي أثرت الجماعة ويسرت الوظائف لأفرادها وكانت لهم جريدة أسبوعية «محمد يتكلم» توزع نحو نصف مليون نسخة وكانت تؤيد القضية العربية وتجاهر بمعاداة الصهيونية .

وتوفي «اليجه محمد» في فبراير ١٩٧٥ بمدينة «شيكاغو» التي فيها معبدهم الرئيسي رقم ٢ ، وعند وفاته خلفه ابنه «وارث الدين محمد» الذي كان يضمر الإيمان الإسلامي الصحيح على طريق السنة والجماعة، فكافح بنجاح في إزالة التحريفات الاعتقادية لها، وحمل أعضاء الجماعة تدريجياً على الأخذ بآداب الإسلام من صلاة وصيام وأداء الزكاة وفريضة الحج، ويتبعه على ذلك أكثر الجماعة، لكن انفصل عنه فريق بزعامة «فرقان» الذي كان يرأس فرعهم بمدينة نيويورك قبل وفاة أبيه واستمسك مع فريقه بأكثر أفكار اليجه محمد .

المهم أن وجود هذه الجماعة وتسميتها «أمة الإسلام» وتكلمها بالقرآن مع التحكم في تأويل بعض آياته ليناسب أفكارهم كان حتى وفاة زعيمها سببا في البلبلة والتشويش على الإسلام الصحيح وإن كانت قربت للإسلام أعدادا كثيرة من بين هؤلاء ويسرت بعد وفاته اعتناق هذه الأعداد الكثيرة لدين الله السليم .

وقد ظهر في الجو الأمريكي في السنوات الأخيرة ما يشبه قيام فرقة إلحادية جديدة وإن كانت لازالت صغيرة ضئيلة على يد مهاجر مصري ذكي نشيط طلع على الناس وسط

السبعينات بما أسماه «المعجزة العددية للقرآن الكريم» وأحيانا أطلق عليها «معجزة القرن العشرين» حيث ذكر أنه اهتدى إليها عن طريق استعمال الحاسب الآلي وأكتشف بها أسرار الحروف الواردة في فواتح بعض سور القرآن الكريم، وهي تدور حول رقم ١٩ المنصوص عليه في سورة المدثر «عليها تسعة عشر» وزعم أنه إلى هذا العدد وظاهرته تشير الآية ﴿إنها لإحدى الكبر﴾ وبالرغم من أخطاء حدثت في العدّ ووجود بعض حالات التعارض فقد لقي إعلان هذا النبأ ترحيبا كثيرا من المسلمين بأمريكا وخارجها وخاصة في بعض البلاد العربية والإسلامية وإن كان بعض العلماء الحذرين وجدوا في ذلك تأييدا مقنعا للبهائيين الذين يقدسون رقم ١٩ .

ومهما يكن من أمر بشأن هذه المعجزة المزعومة فإن صاحبها ما أن أشتد عوده وذاع صيته حتى بدأ يفك عرى الإسلام واحدة بعد الأخرى، فأصدر ترجمة إنجليزية للقرآن الكريم تبع فيها هواه وزعم أنها الترجمة الشرعية الوحيدة، ثم نشر كتيبا يهاجم فيه الحديث النبوي الشريف جملة وينكر حجيته ويرفض أصالته ويعتبر الاعتماد على الحديث بأي وجه شركا وكفرا من زيغ الشيطان، ثم أنكر صحة الآيتين الأخيرتين من سورة التوبة، ثم زعم أن قول «محمد رسول الله» بعد شهادة أن «لا اله إلا الله» شرك وكفر بالله، كما حرّف الأذان وزعم أن الصلاة على النبي غير مشروعة، وزعم أن قوله تعالى «يأيها الذين آمنوا صلوا عليه» يعني أيدوا دينه وانصروه كما زعم أن محمدا كان كاتبا وكتب القرآن بخط يده، ومن وقت لآخر يطلع على الناس بإحدى العجائب يذيعها في نشرته الدورية، ومن المؤسف أنه رفض أن يصغى لما قدم له من نصائح المخلصين .

وبالرغم من وضوح فساد هذه الادعاءات وخطرها فإنه استطاع كما يبدو أن يجد له أتباعا ومؤيدين داخل أمريكا وخارجها مما يشوش على البسطاء وخاصة من المسلمين الجدد .

التنافس على الزعامات الإسلامية :

إننا لنعلم أن الجندي والقائد يستوي أجرهما عند الله إذا أبلى كل منهما بلاء حسنا وأخلص وجهه لله تعالى في كفاحه وإيمانه، ومع ذلك فأننا نتنافس على الزعامة والرئاسة على جميع المستويات، يحدث هذا بين الجالية المسلمة في البلد الواحد، كما يحدث على المستوى

الوطني ، ولا تكاد جماعة إسلامية مهما صغرت تسلم من هذا التنافس غير البرىء ، ويؤدي ذلك إلى أحقاد واتهامات وينتج عنه أحيانا أعمال العنف والإرهاب وسفك الدماء .

واحتدم النزاع بصفة خاصة بين الجمعيات الإسلامية التي كونها المسلمون من العنصر الإفريقى الأمريكي ، فكان يحقد بعضهم على البعض الأخر ، وكانت خصومتهم جميعا لأمة الإسلام بزعامة «اليجه محمد» أشد وحقدهم عليها أكثر نظرا لقوتها المادية والعددية ، وحتى يميزوا أنفسهم عنها كانوا يسمون أنفسهم «المسلمون السنيين» ويخالفونهم في هجاء لفظ «مسلم» أي في حروف علته التى تقوم مقام الحركات ، وحيث إن جماعة «اليجة محمد» كانوا يستعملون لفظ «الجلالة» فكان بعض هؤلاء يؤثر اللفظ الإنجليزى وخاصة أن بعض الخبثاء هناك يزعمون أن كلمة لفظ «الجلالة» تعنى صنما كان بمكة مما دفع كاتب هذه السطور لاستعمال اللفظين معا احتياطيا في مكاتباته .

كما اشتد النزاع كذلك بين الجاليات المهاجرة من الخارج ، والهب ذلك طموح غير المؤهلين ورغبتهم في الرئاسة واتهم بعضهم البعض الآخر بالباطل وتعرض بعض المخلصين العاملين في حقل الدعوة لمآسى ومخاطر بسبب هذه الاتهامات التي ما أريد بها إلا خدمة أهواء شخصية على حساب هدم الآخرين وعلى أنقاضهم .

الحملات المغرضة ضد الإسلام في وسائل الإعلام الغربى

سبق أن تحدثنا عن ذلك في بعض الفقرات السابقة ، ونضيف هنا أن هذه الحملات لا تقتصر على الاتهامات الصريحة ولكنها كثيرا ما تتخذ طرقا خفية خبيثة قد تكون أضر وأفعل وخاصة الإشارات التي ترد في الكتب الدراسية بالمدارس ، ويحدث ذلك على المستويات الأولية والثانوية والعالية ، ويزور أطفال المدارس المتاحف ويشاهدون بعض المناظر التي تؤذي الإسلام ورسوله وبذلك يشبّون على كراهية هذا الدين البرىء من دعاواهم الكاذبة .

ولقد حاول الاستعماريون منذ القرن الماضي بذر بذور الفتنة والأحقاد في نفوس ما أسموه «الأقليات الدينية» وعملوا ما وسعهم لإثارتهم ضد الحكم العثماني وضد الإسلام ، واستغلوا ضعف الدولة العثمانية وأسسوا أرسالياتهم ومدارسهم التبشيرية ، وتمّ لهم ما

أرادوا فقامت مذابح بشرية في بعض تلك البلاد كما حدث في لبنان واستطاعوا أن يبنوا دولة لليهود على أرض فلسطين المسلمة ، كما حاولوا إثارة الأقباط في مصر ، ولما هاجر بعض أفراد هذه العناصر خارج الوطن الإسلامي نهجوا منهج الصهاينة وتبعوا خطتهم في اتهام الإسلام ونبيه وكتابه بأسلوب بشع ممقوت .

وليت المسلمين يتضافرون لعمل إيجابي فعّال لتلافي هذه الأخطار، لا عن طريق نشر كتب ومقالات فلسفية فوق المستوى العادي أو الكتابة عن الإسلام بأسلوب ركيك مملّ ، ولكن بمتابعة الاتهامات من مصادرها والرّد عليها في نشرة تصل لأيدي المسئولين وأصحاب الرأي وإلى الرجل العاديّ والعمل في جدّ لتطهير الكتب على كل المستويات من هذه الاتهامات كما صنع غيرنا بنجاح .

كلمة ختامية

هذا ما فتح الله عليّ به فذكرته كمشكلات تعتور طريق الدعوة وتؤثر على مسيرتها ، ولا أدعيّ ـ كما ذكرت من قبل ـ أنني تعمدت الحصر والاستقراء فقد يكون غاب عني بعضها أو نسيت الذاكرة بعضاً آخر ، وفي الختام هناك حقائق ثلاث ينبغي تأكيدها :

الحقيقة الأولى : أنه رغم هذه العوائق والصعوبات فإن الإسلام يشق طريقه إلى القلوب ، ويقتحم العوائق والسدود ينيرها بالإيمان بعد الكفر ، ويهذب النفوس بعد الجمود ويهدي إلى الرشد بعد الضلال ، وإلى التقوى بعد الفسوق والفجور ، يزداد أتباعه كل يوم ، وينتشرون في الآفاق والأنحاء في أركان المعمورة كلها ، وذلك لما في الإسلام من قوة الدفع الذاتي والمدّ الطبيعي كما شرحنا من قبل .

فمن ذا الذي كان يدور بخاطره قبل أربعين عاماً أن يكون للإسلام جالية بالولايات المتحدة الأمريكية تربو على الملايين ؟ أو تكون له بها عشرات المساجد تخترق مآذنها الشامخة سماء المدن ويجوب بأنحائها صدى نداء الحق : «الله اكبر الله اكبر ، حيّ على الصلاة ، حيّ على الفلاح »؟ ومن ذا الذي كان يتوقع له أن تنتشر مراكزه ومدارسه ومؤسساته في بلاد أوربا واستراليا ونيوزلنده واليابان وكوريا والجزر النائية في الباسفيك وسائر أقطار الأمريكتين؟

من كان يظن أن يخترق الإسلام بهذه السرعة وبهذه القوة جدران السجون العتيدة الصماء فيجعل من المجرمين عبّادا صالحين، ومن الأجلاف الإرهابيين نماذج من الناسكين التائبين الراكعين الساجدين؟ من كان يتصوّر أن تتحوّل الزنزنات في تلك القلوات الرهيبة إلى زوايا ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ؟

لن أنسى ما عشت زيارة قمت بها إلى أحد السجون الكبرى في ولاية نيويورك بدعوة من السيد المشرف على تلك الدار بناء على طلب المجموعة التي اسلمت داخل ذلك السجن، وكنت على صلة بهذه المجموعة عن طريق البريد وبأمثالها من المجموعات الأخرى بالسجون المنتشرة في شتى البلاد الأمريكية التي دخل أعضاؤها الإسلام أثناء تواجدهم بالسجون، كذلك كنا نردّ على أسئلتهم واستفساراتهم ونزودهم بالكتب والمواد الإسلامية، كما كنا نتوسط لصالحهم مع السلطات المسئولة كي يعفوهم من الأعمال التي تلوّث الأيدى بنجاسة الخنزير وليقدموا لهم وجبات خالية من كل طعام محظور، كما استطعنا إقناعهم بفضل الله أن يغيروا مواعيد طعامهم أثناء أيام رمضان ليتمكنوا من أداء فريضة الصيام وبالسماح لهم بالاجتماع في لياليه لتدارس القرآن وأداء صلاة القيام، وإعفائهم من العمل بضع ساعات وسط نهار أيام الجمعة على مدار السنة ليجتمعوا لسماع الخطبة والصلاة .

وبعد سفر طال ساعات بالسيارة تبدّى لنا مبنى مصلحة السجن الرهيب في الخلاء ضخماً منعزلاً مرتفع الجدران الخالية من النوافذ، قصدنا إلى المدخل ذي البوابة الغليظة الثقيلة، وتعرضت مع رفيقي إلى روتين دقيق من التفتيش استغرق وقتا طويلاً، ثم قادنا بعض الحراس إلى مقر الاجتماع فرأيت من بعيد منظرا ذكّرني بمداخل المساجد حيث شاهدت على عتبة الباب عددا كبيرا من الأحذية، ثم سمعت إمامهم يلقى عليهم خطبة الجمعة في أسلوب قوي مؤثر، ولما وصلت إلى داخل مقر الاجتماع وجدت المصلين منصتين في خشوع وانتباه، فخفق قلبي وتأثرت مشاعري لهذا المنظر، صليت ركعتين خفيفتين وواصلت الإنصات إلى الخطيب البليغ ودارت عيناى حول الجدران وأعجبت بما علق عليها من آيات قرآنية كتبت بخط بديع، وبعد أداء الصلاة التفوا حولي لنتناقش في بعض الموضوعات ودهشت لما لمست فيهم من هدوء نفسيّ وسموّ روحي ومعرفة واسعة، وعجبت

كيف أحدث الإسلام هذا التغيّر الجذريّ في شخصياتهم وعقولهم وتصرفاتهم .

ومما يذكر بهذا الصدد أنه عندما أديت صلاة عيد الفطر المبارك لأول مرة في مقر المركز الإسلامي بواشنطن وسط عام ١٩٥٢م أي منذ ما لا يزيد عن خمسة وثلاثين عاماً، بعث المرحوم السفير كامل عبدالرحيم إلى ملوك ورؤساء الدول الإسلامية برقيات تهنئة يبشرهم فيها بحرارة بأن عدد المصلين بلغ المائتين فهل كان يدور بخلد السفير ومن كان معه في ذلك الوقت إنه بعد عشر سنوات سيبلغ عدد المصلين ظهر كل يوم جمعة في نفس المكان أضعاف هذا العدد ؛ أو أن عدد المصلين هناك في كل عيد سيبلغ الآلاف ؟ هذا عدا الجماعات في الأماكن الأخرى بنفس المدينة ، وعدا الجماعات المتعددة التي تعقد في عشرات المدن الكبرى مثل نيويورك وشيكاغو وفيلاديلفيا ، وصدق الله تعالى حيث يقول : ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ ويقول : ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله﴾ .

الحقيقة الثانية : هي أنه وإن كان الإسلام ينساب بقوّته الذاتية فإن ذلك لا يعني أن نتركه وحده ونخذله ونخلّي بينه وبين أعدائه الذين يسجلّون كل حين انتصارات عليه داخليا وخارجيا ، فإلى متى نتقاعس عنه وقد ربض العدوّ على صدورنا وأسس له دولة عدوانية شرسة في عقر دارنا يعبث بمقدساتنا ويقتل نساءنا وابناءنا وشيوخنا ويستولي على افغاننا بينما لا نزال نحن متفرقين ضعفاء متخاذلين ومتقاتلين ؟ لن نسود ولن نعيش في أمن وسلام حتى نتغلّب على العوامل التي تفرق بيننا وتبدّد وحدتنا ، ولن يكون لنا ذلك حتى نتحد حول كلمة «لا إله إلا الله محمد رسول الله» إنها هويتنا الحقيقية الباقية عليها نموت وعليها نبعث يوم نلقى الله ، فلم لا نعيش عليها ونلتف حولها فتقوى جبهتنا وتعزّ كلمتنا؟ لن يكون لنا ما نبتغي من عزّ ونصر وسيادة حقيقية حتى تبعث فينا روح الجهاد والتضحية بالغالي والنفيس من أجل ديننا ومن أجل ربنا ومن أجل أجيالنا ، فمناط نصرنا وعزة ديننا الاتحاد والاستعداد .

الحقيقة الأخيرة : هي أن طريق الدعوة لم يكن يوما من الأيام مفروشا بالورود والزهور خاليا من الأشواك والعوائق والمتاعب فعلى من يتصدى للدعوة أن يوطد صلته بالله عز وجل ، ويعدّ نفسه لمواجهة الصعاب في صبر وحزم وحلم وأناة ومثابرة ، وعليه أن يتحلى بالأدب

الرفيع والخلق الكريم والجود والشجاعة والنزاهة والعفة عما في أيدي الناس، وعليه أن يكون حسن المظهر والمخبر، معتدلاً في أموره وأحكامه، وعليه أن يحصّن نفسه بالعلم ولا يتعجل بالإفتاء إلا عند التأكد من صحة مايدلي به، ولا يتردد أن يقول: «لا أدري» عند عدم التأكد، ويعطي نفسه الفرصة للرجوع إلى المصادر الموثوق بها، ويحسن أن يفقه نفسه في عادات البلاد التي يعيش فيها وتاريخها، وأن يكون على علاقة طيبة مع رجال الأديان الأخرى بها، حتى يتعرف على أساليبهم فيكون أقدر على مخاطبة القوم عن دينه ورسالته، وعليه قبل ذلك أن يوثق علاقته بزملائه من الدعاة ويتعاون معهم ويشد كل منهم عضد أخيه، وعليه أن يتذكر أن كل ماقد يصبه من أذى في سبيل الله فلن يضيع عند الله، فعاقبة الصبر الأجر، والله لا يضيع أجر المحسنين.

وبالله التوفيق والهداية والحمد لله رب العالمين